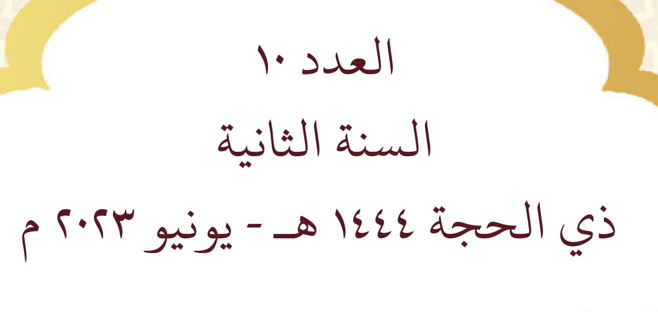


العدد ١٠

السنة الثانية

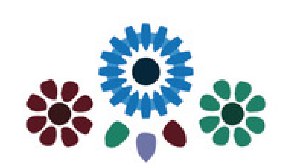
ذي الحجة ١٤٤٤ هـ - يونيو ٢٠٢٣ م



الصدّيقيّة

مجلة سُنيَّة صوفية إلكترونية تصدر عن

مؤسسة الصديقيّة للخدمات الثقافية والاجتماعية

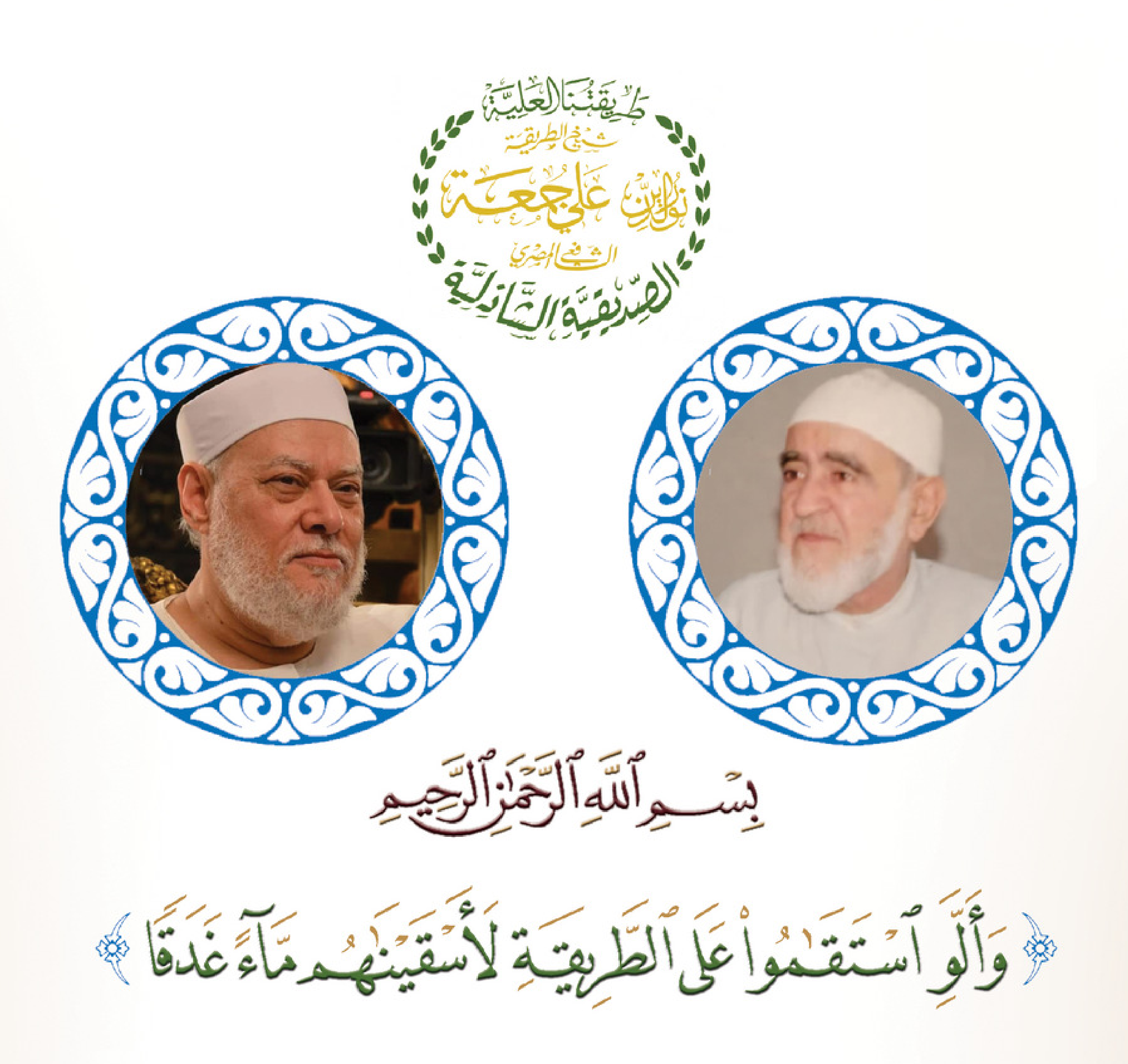


تحت إشراف

الأُستَاذ الدّكتُوْر عَلي جُمعَة

عُضو هَيئةِ كِبَار العُلمَاء بالأَزْهَر الشَرِيْف



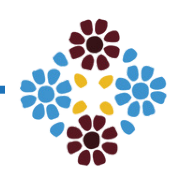


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾

مجلّة سُنِّية صوفيّة الكترونية تصدر عن
مؤسسة الصديقيّة للخدمات الثقافية والاجتماعية
المشهرة برقم ٩٣٢ لسنة ٢٠٢٠

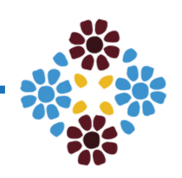
المحتويات



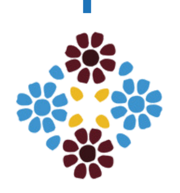
العدد ١٠ - السنة الثانية - ذي الحجة ١٤٤٤ هـ - يونيو ٢٠٢٣ م



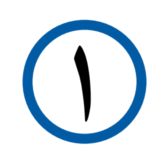
المحتويات



العدد ١٠ - السنة الثانية - ذي الحجة ١٤٤٤ هـ - يونيو ٢٠٢٣ م




عيد أضحى سعيد



افتتاحية العدد

أ.د/عَلي جُمُعة

عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

شيخ الطريقة الصديقية الشاذلية

facebook.com/DrAliGomaa



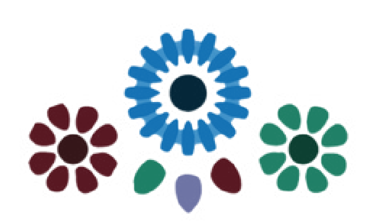
شهر ذي الحجة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وسلم،

قد أظلنا شهر ذي الحجة الحرام، الذي مع بدايته تبدأ الأيام المعلومات، وهي خير أيام السنة، كما أن ليلة القدر خير ليالي العام، في هذه الأيام أمرنا رسول الله ﷺ وشرع لنا ورغَّبَ الصِّيامَ، وإلى الذكر، وإلى تلاوة القرآن، وإلى الالتجاء إلى ربنا سبحانه وتعالى بصالح الأعمال، وإلى الدعاء، وإلى الصلاة على النبي المصطفى والحبيب المجتبى ﷺ، وإلى كثرة الصدقات، وإلى سائر الأعمال الصالحات. ففي هذه الأيام المباركات يغفر الله الذنوب، ويستجيب للدّعاء، ويأمرنا رسول الله ﷺ أن نتذكر الحجيج الذين قصدوا بيت الله العتيق؛ بيت الله الحرام، نتذكر هذا المنسك العظيم، نتذكر الدروس التي يمكن أن نستفيد بها في حياتنا الدنيا حتى عند من لم يحج، ومن هذه الدروس:

1. يذكرنا الحج إحرام الحاجِّ وهو ذاهب إلى بيت الله الحرام بالموت، وأن هذه الدنيا فانية وأنها مرتبطة بالآخرة، وكان من دعاء الصالحين «اللهم أجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا»، وأنه ينبغي عليك أن تعدها وسيلة للآخرة، يظهر المحرم وكأنه في أكفانه.
2. يذكرنا الحاج في إحرامه بالمساواة الرشيدة التي لا تعني التساوي أبدا؛ فهناك فرق بين الرجل في إحرامه والمرأة في إحرامها؛ ولكن ليس هناك فرق بين عربي وأعجمي ولا بين أبيض ولا أحمر إلا بالتقوى، الكل سواسية كأسنان المشط، كما قال رسول الله ﷺ في وصف الناس أجمعين لا فرق بين الحاكم والمحكوم، ولا بين الغني والفقير، ولا بين القوي والضعيف، ولا بين العالم والجاهل.
3. يذكرنا الحاج في إحرامه بأن هذه الدنيا في قيامها لا تحتاج إلا القليل، فالإنسان عندما ارتدى هذا الإحرام اكتفى به في ستر عورته، اكتفى به في حاجة جسده، يمكن للإنسان أن يكتفي بالقليل، وما زاد على ذلك فهو فضل لا يتعلق به شأن الحياة وتستمر الحياة بدونه، إذًا هذا الحال من الاكتفاء يساعد على أن تكون أيها المؤمن قويا.

وأما أولئك الذين تهفوا قلوبهم للزيارة ولم يتمكنوا من الخروج لرحلة الحجّ خلال السنوات الماضية وحتى اليوم لأي سبب كان، ندعوا الله سبحانه وتعالى أن يحاسبهم بنياتهم، وأن يحسب لهم حجًا كاملًا وأن يستجيب دعائهم وأن يغفر ذنوبهم، وأن يبدأ بهم الطريق إليه وأن يعلمهم الأدب معه، ومن اشتاق هذا الاشتياق العظيم فله أجره عند الله وندعو الله أن ينزل عليه السكينة، وأن تحفه الرحمة، وأن تتنزل عليه الملائكة وأن يؤيده الله بمدد من عنده، كل عام وأنتم بخير، تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.





تقبل الله منا ومنكم



٢ مظاهر الخلافة المحمدية في الأكوان

د/ يسري جبر الحسني
facebook.com/dr.yosrygabr

الحمد لله رب العالمين، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدَنا مُحَمَّدٍ، الْبَرْزَخِ بَيْنَ الْأَحَدِيَّةِ وَالْوَاحِدِيَّةِ، وَبَيْنَ الْبُطُونِ وَالظُّهُورِ، سِرِّ التَّجَلِّي الأَعْظَمِ، أحمدُ الْبِدَايَةِ وَالْبِشَارَةِ، مُحَمَّدُ النِّهَايَةِ وَالْهِدَايَةِ، مَحْمُودُ السِّيرَةِ وَالسَّرِيرَةِ، مُصْطَفَى الْعِنَايَةِ وَالرِّعَايَةِ، وَعَلَى آله وَسَلِّمْ، عَدَدَ كَمَالِكَ وَكَمَا يَلِيقُ بِكَمَالِهِ.

أما بعد:

فموضوع الخلافة المحمدية في الأكوان غاب عن كثير من المسلمين بالرغم من وضوحه في القرآن الكريم، فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خليفة الله في الأكوان وسيدنا آدم عليه السلام خليفة الله في الأرض، وهناك فرق كبير بين الخلافة الكونية والخلافة الأرضية.

فسيدنا محمد ﷺ كان نبيا قبل خلق آدم عليه السلام، وقبل خلق الملائكة وقبل خلق الأكوان؛ لأنه أول روح خلقها الله عز وجل والتي تمثلت من النور وهو المخلوق الأول.

وخلق الله تعالى هذا النور ليظهر به مكنون علمه، لذلك قال ﷺ في الحديث القدسي «كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني»(١).

وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٢) أي الله عز وجل منور السموات والأرض، ومُظهرها، مثل نوره الذي أظهر به السموات والأرض وهو النور المحمدي الذي خلقه.(كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ)، وهو المُنَور في ذاته، وفي قراءة (درىء) وهو المنير لغيره. فنوره الذي خلقه ونسبه إليه تشريفا هو سيدنا محمد ﷺ فهو نور الشريعة ونور الحقيقة يهدي الله لنوره من يشاء.

١- العجلوني في كشف الخفاء (٢٠١٦).
٢- النور: ٣٨

وهذا النور المعظم تمثلت منه الروحانية المحمدية، وجعلها الله عز وجل واسطة الوسائط، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(٣) وهذه الآية هي سر التخصيص والتفضيل للنبي ﷺ في القرآن. فمقامه عالي عند مولاه ولا يشاركه فيه مخلوق، وهو ﷺ رسول من ليس كمثله شيء فكان ﷺ ليس كمثله مخلوق.

والنبي ﷺ أول المخلوقات خلقا وآخرهم بعثا، وهو القائل: «جعلني فاتحاً وخاتماً»(٤)، وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾(٥) والإشارة في قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ والنبي ﷺ يقول: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الأَرْضُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٦)، ويقول ﷺ «جعلني فاتحاً وخاتماً»، ويقول: «أنا أول النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِى وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّى وَلاَ فَخْر»(٧). فإذا جمعنا بين قول الله عز وجل وقول النبي ﷺ سيتبين لنا أنه ﷺ أول الخلق في الأكوان. فكانت الإعادة صورة للبداية. فلما كان ﷺ الأول في الإعادة دل على أنه كان الأول في البداية: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾.وكل ذلك من حيث الحقيقة، الروحانية لا من حيث الصورة البشرية.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع»(٨). فله أولية في الخلق وفي البعث وفي الشفاعة وفي دخول الجنة. والنبي ﷺ أول مجيب لنداء ربنا يوم ألست بربكم، فهو أول من قال بلى، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾(٩)،

لذلك كان هو ﷺ أول المسلمين، بدليل قوله تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾(١٠) وقوله تعالى في آية أخرى ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾(١١). فهو الأول حقيقة من حيث الروحانية ومن حيث البدء. ولم يقل أنا من المسلمين إلا في سورة النمل حيث قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(١٢) لأنه ارتبط بالبلدة، فكان الكلام على لسان الشخص المحمدي لا الروحانية المحمدية فقال من المسلمين.
وهناك دليل آخر على أوليته ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾لأنه الرحمة الممدة للعوالم كلّها، فلا بد أن يسبق العوالم، وبهذه الرحمة ظهرت العوالم.
فدل على أنه الخليفة في جميع العوالم؛ لأنه مرآة لمرادات الله عز وجل ومجلى الكمالات الإلهية الأعظم. والمجلى هو المظهر، والمظهر مخلوق والظاهر قديم.
وهو ﷺ التجلي الأعظم المتمثل بالرحمة، ورحمة الله سبقت غضبه، فظهرت الأكوان من العدم بالرحمة، والنبي ﷺ هو البرزخ بين الأحدية والواحدية؛ لأن الواحدية قابلة للتجلي والنسبة، والأحدية لا تقبل النسبة.
والروحانية المحمدية سارية في سائر الأسماء والصفات ليظهر الله بها الخلق. فما من حي إلا ويستمد شعاع من هذه الروحانية، فهو الممد لذلك يقول ﷺ «من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين، إنما أنا قاسم والله يعطي». في جميع الأزمان بدلالة قوله (قاسم) بصيغة اسم الفاعل، حيث لم يجعلها مرتبطة بزمان، أي قاسم في الماضي والحاضر والاستقبال. وقال (والله يعطي) بصيغة المضارع لتجدد العطاء واستمراره من الله تعالى.
فالنبي ﷺ يمد جميع الأكوان، حتى العرش والكرسي واللوح والجنة والنار فما خط القلم في اللوح المحفوظ إلا بمدد هذه الروحانية، وما خلقت الجنة والنار والعرش والكرسي إلا بمدد هذه الروحانية المحمدية. وهذا ما وضحه القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾(١٣)

٣- الأنبياء: ١٠٧
٤- البيهقي في شعب الايمان (٤٨٣٧)، البزار في مسنده (٩٥١٨) بلفظ (وجعلتك فاتحا وخاتما)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٠١٦٣).
٥- الأنبياء: ١٠٤.
٦- البخاري (٢٤١٢)، الترمذي (٣١٤٨).
٧- الترمذي (٣٩٩٦)، والدارمي (٥٠)، وأحمد (٣٩٨).
٨- أبو داود (٤٦٧٣) والترمذي (٣١٤٨) وابن ماجة (٤٣٠٨) واحمد (١٠٩٧٢).
٩- الأعراف: ١٧٢.
١٠- الا نعام: ١٦٣.
١١- الزمر: ١٢.
١٢- النمل: ٩١.
١٣- الضحى: ٨

أي وجدك عائلا تعول الأكوان لكونك رحمة للعالمين فأغناك لتمد الأكوان، وهناك معنى أخر لكلمة (وجدك) أي بمعنى أوجدك، وجعلك على هيئة صالحة لتمد سائر الأكوان بما يصلحها وما يهديها.

وكما أن النبي ﷺ أول الخلق فهو أول الأنبياء، لقوله: «كنت نبياً وآدم منجدل في طينته»(١٥) وفي رواية «كُنْتُ نَبِياً وآدم بينَ الرُوحِ والجَسَد»(١٦). وهذه النبوة مرتبطة بروحه قبل ظهور بشريته، وهناك آية كريمة تشير إلى أنَّ النبوة حصلت للنبي ﷺ في حال روحانيته قبل حال بشريته في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾(١٧)، أي بغير واسطة، والعلم اللدني هو الذي يكون من الله بغير واسطة، والألف واللام في كلمة القرآن للجنس أي تلقيت القرآن كله حال روحانيتك قبل خلق الخلق.

ولما بُعث الشخص المحمدي البشري نزل عليه سيدنا جبريل عليه السلام بالقرآن، لكونه بشراً فيحتاج للواسطة، وليذكره بما انطبع في روحانيته لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾(١٨)، لذلك لمَّا جاءه قال له: اقرأ، ومعلوم أن من يقول لك اقرأ ولا يحمل كتابا أي اقرأ مما تحفظ، فقال له: ما أقرأ؟ أو ما أنا بقارئ، فغطَّه إليه غطا شديدا، ليظهر روحانيته على بشريته، وتضمحل البشرية؛ لأن سيدنا جبريل عليه السلام روح فغطَّه كي تقوى الروحانية المحمدية وتظهر على البشرية فيتذكر ما طُبع في روحانيته، فقرأ القرآن بلسان عربي مبين، كما في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾(١٩). وطبيعة الإنسان النسيان كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾(٢٠)، فلما جاء سيدنا محمد ﷺ في صورة الإنسان واحتاج لمن يذكره أرسل ربنا سبحانه وتعالى إليه جبريل عليه السلام ليقوم بهذه المهمة.

وهناك دليل آخر على أن الإنسان ينسى، فكلنا لا نتذكر يوم ألست بربكم، مع العلم أننا قلنا بلى، ولكن لا نذكر هذا في حال دُنيانا على صورة الإنسان.

وبعد أن اعتاد النبي ﷺ نزول الوحي، وقويت الروحانية، وتذكر ما طُبع فيها من كلام الله القديم، صار يسابق جبريل، وهذا ما بينه الله عز وجل في القرآن حين قال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾(٢١) وكأن الله تعالى غار أن تظهر هذه الحقيقة المحمدية وما حوت أمام الناس، فأمره أن يسترها ولا يسابق جبريل بالوحي؛ لأن كل حسناء لا بد لها من نقاب، والنبي ﷺ لا بد أن تختبئ حقيقته في نقاب بشريته، وقال له في سورة أخرى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾(٢٢).

والنبي ﷺ هو واسطة البلاغ، ودل على ذلك في الشهادتين (محمد رسول الله) فكلمة رسول أي واسطة بين الله تعالى وبين خلقه.

ونلخص ما ذكرنا أنفا في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾(٢٣) فقوله (الرحمن) أي رحمته سبقت غضبه، فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، وقوله (عَلَّمَ القرآن) للروحانية المحمدية قبل خلق الإنسان، لذلك قال له في آية أخرى ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾.

ثم لمَّا صار نبيا عربيا بلغه بلسان عربي مبين، فالقرآن نزل مرتين، مرة إجمالا حال روحانيته، وأخرى منجما حال بشريته، تيسيرا على المسلمين في حفظه وتطبيقه، وتثبيتا لقلبه ﷺ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾(٢٤).

وهذه الرحمة المحمدية تجلت لمَّا خلق الله تعالى العرش وكتب عليه (لا إله إلا الله)، فاهتز العرش من شدة الجلال، فكتب عليه (محمدٌ رسولُ الله) فثبت من شدة الجمال، وهذه الروحانية المحمدية هي التي تتلقى صعقات الجلال من الله تعالى وتقسمها على الخلق بالرحمة والجمال والهداية والإرشاد.

١٥- اخرجه الإمام الترمذي (٣٦٠٩) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: وادم بين الروح والجسد)، واخرجه الإمام احمد (٢٠٥٩٦)، والطبراني في الكبير، وابن أبي شيبة (٣٦٥٥٣).

١٦- الإمام احمد (٢٠٥٩٦) عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الخير قال قلت يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: (وآدم بين الروح والجسد) والطبراني في الكبير (٢٠/٨٣٤) وابن أبي شيبة (٣٦٥٥٣) وايضاً عبد الله بن شقيق بلفظ (كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد) والترمذي (٣٦٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: (وآدم بين الروح والجسد).

١٧- النمل: ٦

١٨- الشورى: ٥١.

١٩- الشعراء: ١٩٣-١٩٥

٢٠- طه: ١١٥.

٢١- القيامة:١٦-١٨.

٢٢- طه: ١١٤.

٢٣- الرحمن: ١-٤.

٢٤- الفرقان: ٣٢.

وهو ﷺ الخليفة في الدنيا، فقد ملكه الله تعالى الدنيا وخزائنها، لذلك قال: «وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأرض أَوْ مَفَاتِيحَ الأرض وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِى وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا»(٢٥) ويقول سيدنا أبو هريرة رضى الله عنه فأنتم تنتشلونها من يديه، فخزائن الأرض في يديه؛ لأنه يعول أهل الأرض من يده.

ومن مظاهر خلافته ﷺ في الدنيا أن له التصريف في التشريع. ومن أمثلة التصريف في التشريع أنه ﷺ عُرض عليه أن يكون السواك شرطاً من شروط صحة الصلاة لكنّه ﷺ حوله إلى سنة رحمة بأمته لذلك قال: «لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِى أَوْ عَلَى النَّاسِ لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ»(٢٦).

وأيضا عندما سأله الصحابة عن الحج أفي كل عام يا رسول الله؟ قال «لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ»(٢٧).

ومن أمثلة تصريفه ﷺ في التشريع، أنه أباح لسيدنا علي بن أبي طالب رضى الله عنه المكوث في المسجد وهو جنب. ومعلوم أن الجنب يحرم عليه المكوث في المسجد، إلا أنه ﷺ أباح هذا الأمر لسيدنا علي رضى الله عنه كما ورد عَنْ أَبِى سَعِيدٍ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِعَلِيٍّ يَا عَلِيُّ لاَ يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يُجْنِبَ في هَذَا الْمَسْجِدِ غَيْرِي وَغَيْرَكَ»(٢٨). وهناك أمثلة أخرى كثيرة في السنة وفي كتب الفقه تدل على تصريفه ﷺ في التشريع كتحليله لبيع السلم، وبيع العرايا وغيرها كثير. فمن يريد الاستزادة فعليه بكتب السنة والفقه.

ومن مظاهر التصريف في الدنيا أيضا أنه ﷺ أشار للقمر فانشق كما في حديث الترمذي «عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً فَانْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ فَنَزَلَتِ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ إلى قَوْلِهِ سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ»(٢٩).

وأمر النبي ﷺ الشمس فحبست له كما جاء في الحديث الشريف الذي يرويه جَابِرٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ الشَّمْسَ فَتَأَخَّرَتْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ»(٣٠)، وقد ردها النبي ﷺ لسيدنا على رضى الله عنه حتى صلى العصر(٣١).

ومن الأمثلة على تصريفه في الدنيا، أنه دعا الشجرة فلبت النداء وانقادت لأمره، كما ورد في الحديث الذي يرويه مسلم عن جابر من حديث طويل أنه قال «فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْضِى حَاجَتَهُ فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ عز وجل إلى إِحْدَاهُمَا فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ الَّذِى يُصَانِعُ قَائِدَهُ حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الأُخْرَى فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا لأَمَ بَيْنَهُمَا يَعْنِى جَمَعَهُمَا فَقَالَ الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَالْتَأَمَتَا قَالَ جَابِرٌ فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحِسَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقُرْبِى فَيَبْتَعِدَ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ فَيَتَبَعَّدَ فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِى فَحَانَتْ مِنِّى لَفْتَةٌ فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلاً وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدِ افْتَرَقَتَا فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ»(٣٢).

ومن أقوى الأدلة على الخلافة في الدنيا أن الله سبحانه يخلق على لسان حبيبه ﷺ إذا ما قصد شيئا وأراده، كما جاء في الحديث الشريف «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِىَ بِطَعَامٍ مِنْ خُبْزٍ وَلَحْمٍ فَقَالَ نَاوِلْنِي الذِّرَاعَ فَنُووِلَ ذِرَاعًا فَأَكَلَهَا قَالَ يَحْيَى لاَ أَعْلَمُهُ إِلاَّ هَكَذَا ثُمَّ قَالَ نَاوِلْنِي الذِّرَاعَ فَنُووِلَ ذِرَاعًا فَأَكَلَهَا ثُمَّ قَالَ نَاوِلْنِي الذِّرَاعَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا هُمَا ذِرَاعَانِ فَقَالَ وَأَبِيكَ لَوْ سَكَتَّ مَا زِلْتُ أُنَاوَلُ مِنْهَا ذِرَاعًا مَا دَعَوْتُ بِهِ»(٣٣)، وهذا دليل على أن الصحابي لو لم يتكلم لخلق الله سبحانه وتعالى الذراع تلو الذراع ما دام النبي ﷺ يطلب ذلك. والأدلة على تصريفه ﷺ في الدنيا كثيرة جدا في كتب السنة والسيرة لمن أراد الاستزادة.

٢٥- البخاري (١٣٥٧) ومسلم (١١٩٦)، والنسائي (٢١٠٠)، وابن ماجة (٢٢٤).

٢٦- البخاري (٨٩٥)، ومسلم (٦١٢)، وأبو داود (٤٧)، والترمذي (٢٢)، والنسائي (٧)، وابن ماجة (٣٠٢).

٢٧- مسلم (٣٣٢١) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ أيها النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا فَقَالَ رَجُلٌ أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلاَثًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ ثُمَّ قَالَ ذَرُونِى مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَىْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَىْءٍ فَدَعُوهُ. والنسائي (٢٦٣١)، وابن ماجة (٢٩٩٦).

٢٨- الترمذي (٤٠٩٣).

٢٩- الترمذي (٣٥٩٧).

٣٠- الطبراني في المعجم الأوسط (٤٠٣٩).

٣١- قال العجلوني في كشف الخفاء (١٣٧٩): (رد الشمس على علي رضي الله عنه) قال الإمام أحمد لا أصل له وتبعه ابن الجوزي فأورده في الموضوعات، ولكن صححه الطحاوي وصاحب الشفاء، وأخرجه ابن مندة وابن شاهين عن أسماء بنت عميس، وابن مردويه عن أبي هريرة، وروى الطبراني في الكبير والأوسط بسند صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار.



وهو ﷺ الخليفة في البرزخ، وخزائن عالم البرزخ في روحانيته وفي يده؛ لأن عالم البرزخ يحتاج للمدد، والموت لا يطرأ إلا على الجسد، والروح باقية وتحتاج إلى الإمداد، وهو الإنسان الوحيد الذي يُسأل عنه في سؤال القبر، ماذا تقول في هذا الرجل؛ لأنه الخليفة في عالم البرزخ وهو عالم القبور قبل البعث والنشور.

والخلافة المحمدية تتجلى أيضا يوم القيامة، حين يُبعث الخلائق للحساب فيذهبون إلى أبينا آدم عليه السلام ثم إلى أبينا نوح عليه السلام ثم إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام ثم إلى سيدنا موسى عليه السلام ثم سيدنا عيسى عليه السلام وكل منهم يقول: نفسي نفسي لست لها لست لها، فيدلهم سيدنا عيسى عليه السلام إلى رسول الله ﷺ فيقول أنا لها أنا لها، فهو الخليفة بحق. ولا يبدأ الحساب إلا به ﷺ وهو القائل «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِى وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّى وَلاَ فَخْرَ»(٣٤).

وهو ﷺ الخليفة في الجنة، بل هو الذي ملكه الله تعالى الجنة لذلك يقول: «مفتاح الجنة في يدي لا تفتح إلا بي ولي» ومن ملك المفتاح ملك التصرف والعطاء لذلك قال (مَنْ يَضْمَنْ لِى مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»(٣٥)، والضمان فرع الملك، ولا ضمان فيما لا تملك، وما دام صرح ﷺ بضمانه للجنة لمن يتصف بهذه الصفات فهذا دليل على أن الله تعالى ملكه الجنة، وكذلك قوله ﷺ «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِى رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبِبَيْتٍ فِى وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِى أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»(٣٦) وكلمة زعيم بمعنى ضامن، والتصرف والضمان لا يكون إلا من المالك فتراه يتصرف في الجنة فلا تفتح إلا به. وما دام يملك الجنة إذن هو ﷺ الخليفة في الجنة.

ومما مضى تبين لنا بصورة واضحة جلية أنه ﷺ الخليفة بحق في الأكوان.

٣٢- مسلم (٧٧٠٥).
٣٣- أحمد (٥١٨٤).
٣٤- الترمذي (٣٦١٠).
٣٥- البخاري ٦٥٦٢.
٣٦- أبو داوود (٤٨٠٢).



دور الذِّكر في ترقية النفس عند الصوفية

شيخ/ أشرف سعد الأزهري

من علماء الأزهر الشريف

إنَّ كلَّ ما في هذا الكونِ عُلويّه وسُفليّه شاهدٌ لله ربِّ العالمين بألوهيَّتِه، وأنَّه لا إلهَ إلَّا هوَ المتفرِّدُ بالخَلق والتَّدبير، والإنسان إذا أعمل عقله في ظواهرِ هذا الكونِ وتدبَّر آياته فإنَّه سَيجِدُ نفسَه مُنسَاقًا إلى توحيدِ الله ربِّ العالمينَ وخَاضِعًا خضُوعًا تامًّا لَه، فالله جلَّ جلالُه هوَ الإلهُ الحقُّ فلا رَبَّ غيرُه ولا مَعبودَ سِواه، فله الجَلالُ والجَمالُ والكمالُ المطلَق، سبحانَه لا يُحيطُ به عَقلٌ ولا وصفُ واصِفٍ، فهو أعلَى وأجلُّ من كل شيءٍ يقول عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ الله الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ الله رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

إنَّ غاية التصوُّف كعلمٍ وسلوكٍ هو الوصولُ إلى الله سبحانه وتعالى، وأن لا يكونَ في قلبِ الصُّوفيِّ إلَّا الله سبحانَه، ومِن طرُقِ تحصِيل هذا المقامِ ذِكرُ الله؛ ولِذلك كان ذكر الله مِن أركانِ التصوُّفِ وأعمدتِه حتَّى إنه غلبَت على التصوُّف صفةُ الذكر فعُرِفَ بها، فالذكر في التصوُّف له المقامُ الشَّريفُ والمكانةُ العاليةُ، فهو الذي يرقِّي السَّالك في المقاماتِ والأحوالِ، ويثمِر في قلبه المعارفَ أثناءَ سيرِه إلى الله، ومِن هنا فكلُّ مَن ترَك الذكر ليس بصوفيٍّ مهما ادَّعى ذلكَ، فالصُّوفي الصَّادق هو الذَّاكر لله سبحانَه على الدوام.

وذِكرُ الله عندَ الصُّوفي الصَّادقِ هو أن ينسَى كلَّ شيءٍ سوى المذكورِ سبحانه، فلا يَنشغِل بشِيءٍ مِن هذِه الحياة الدُّنيا بعقلِه أو قلبِه عند ذِكر الله، فالذَّاكِر الحقُّ هو المحبُّ الذي امتلأت نَفسُه بوحدانيَّة الله تعالى، وهو الخاشعُ لجلالِ الله وجمالِه وعظِيم صِفاتِه، والتَّصوُّف يرشِد إلى ذِكر الله سبحانَه مع تفكُّرٍ في تجلّيات العظمةِ الرَّبَّانيَّة في السَّموات والأرضِ ومع تدبُّرٍ لمعاني التَّقديس والتَّسبيحِ والثَّناءِ.

والصُّوفيُّ يرى أنَّ ذكره لله إنَّما هو بفضل مِنَ الله وتوفيقٍ منه، فهو مُجري الذكر على لسَانِه، وهو الذي جعَله أهلًا لذلك، فهذِه مِنَّة مِنَ الله أن يوفِّق السَّالكَ الصَّادقَ إلى الذكر ثُمَّ يحبِّبه إليهِ ثُمَّ يُفيض عليه مِن آثارِ الذكر مِن الأنوارِ والرَّحماتِ والعطَايا الإلهيَّةِ ما يغسِل قلبَه ظاهرًا وباطنًا، ويحرِقُ كلَّ ما فيه مِن باطلٍ، وما يجعَلُ قلبَه متَّجهًا إلى الله سبحانه وتعالى غيرَ ملتَفتٍ إلى سِواه، فيسجُدُ القلبُ في رحابِ الله وتخشعُ الجوارح، وذلك كلُّه مِن آثار ذكر الله والتَّفكُّرِ في صفاتِه وكمالاتِه، فيَشعر الذَّاكِر بالتَّجلِّي الإلهيِّ في الكونِ، فيرَى الله قبلَ كلِّ شيءٍ ومع كلِّ شيءٍ، فيخشعُ القلبُ لمَولاه ويمتلِئُ بحبّه، ويَنطلِق اللِّسانُ بذِكره والثَّناءِ عليه، فالتَّصوُّف يَقودُ الخلقَ مِن خلالِ الذكر إلى محبَّةِ الله ومراقبتِه وتنميةِ مشاعر الحبِّ الإلهيِّ في القلبِ والنَّفس فتَنمو شجرةُ المحبَّةِ لله في القلبِ، ويتَّصِل حبلُ الودِّ مع مالِك المُلك سبحانَه،

فتُشرِق في النَّفس الإنسانيَّة أنوارٌ إلهيَّة لا يُعبَّر عنها بقولِ قائلٍ أو قلَم كاتبٍ، وليس هذا الكلامُ ضربًا مِنَ الخيالِ وإنَّما هو مِن كتابِ الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، قال الله سبحانَه ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]. ويقولُ النَّبي ﷺ: «إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يقُولُ: أَنَا مَع عَبدِي إِذَا هُوَ ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَت بِي شَفَتَاهُ»(١)

ولقد حثَّ سَادَتنا أئمَّةُ التَّصوُّفِ على ذكرِ الله في حِكَمِهم ووصايَاهم، فمن ذلك:

قال الإمام أبو القاسم القُشَيريُّ: «الذكر ركنٌ قويٌّ في طريق الحقِّ سبحانه وتعالى، بل هو العمدةُ في هذا الطَّريقِ، ولا يصِل أحدٌ إلى الله إلَّا بدوَامِ الذكر، والذكر على ضربَين: ذكر اللِّسانِ وذكر القَلبِ؛ فذكر اللِّسانِ بِهِ يصلُ العبدُ إلَى استدامةِ ذكر القلبِ والتأثير لذكر القلب فَإِذَا كَانَ العبد ذاكرًا بلسانهِ وقلبه فَهُوَ الكامل فِي وصفِه فِي حال سلوكِه.

سمعتُ الأستاذ أبا عليٍّ الدَّقَّاق يَقُول: الذكر منشورُ الولايةِ، فمَن وفِّق للذكر فَقَد أُعطِيَ المنشورَ ومَن سُلِبَ الذكر فَقَد عُزِلَ(٢).

وسُئل الواسطيُّ عن الذكرِ فقال: «الخروجُ مِن ميدان الغفلةِ إلى فضاءِ المشاهدةِ مع غلبةِ الخوفِ وشدَّة الحبِّ»(٣).

وقال الشَّيخُ أحمد زرُّوق رحمَه الله في قواعدِ التَّصوُّفِ: «الخوَاصُّ ثابتةٌ في الأقوالِ والأفعالِ والأعيانِ، وأعظمُها خواصُّ الأذكارِ؛ إذ ما عَمِلَ آدميٌّ عملًا أنجى له مِن عذابِ الله مِن ذِكر الله»(٤).

وقال الشَّيخ ابنُ عطاء الله السَّكندَري: «الذكر هو التَّخلُّص مِنَ الغفلةِ والنِّسيانِ بدوام حضورِ القلبِ مع الحقِّ»(٥).

وقال حجَّة الإسلام الغزاليُّ: «واعلَم أنَّه قد انكشَف لأرباب البصائرِ أنَّ الذكر أفضلُ الأعمالِ، ولكن له قشورٌ ثلاثةٌ بعضُها أقرب للُّبِّ مِن بعضٍ، وله لُبٌّ وراء القشور الثَّلاثة، وإنَّما فضَّل القشورَ لكونها طريقًا إليه.

فالقشرُ الأعلى منه: ذِكر اللسانِ فقط.

والثَّاني: ذِكر القلبِ، إذا كان القلبُ يحتاج إلى مراقبةٍ حتَّى يحضرَ مع الذكر، ولو تُرِك وطبعه لاستَرسَل في أوديةِ الأفكارِ.

والثَّالث: أن يستمكِنَ الذكر مِنَ القلب، ويَستولي عليه بحيث يحتاجُ إلى تكلُّفٍ في صَرفه إلى غيرِه كما احتِيجَ في الثَّاني إلى تكلُّفٍ في قرارِه معه ودوامِه عليهِ.

والرَّابع: وهو اللُّباب: أن يستَمكِنَ المذكورُ مِنَ القلبِ ويَنمحِي الذكر ويخفَى، وهو اللُّبَابُ المطلوبُ، وذلكَ بأن لا يلتَفِتَ إلى الذكر ولا إلى القَلبِ؛ بل يَستغرِقُ المذكورُ جملتَه، ومهما ظهَر له في أثناءِ ذلك التِفاتٌ إلى الذكر فذلك حجابٌ شَاغلٌ، وهذه الحالةُ التي يعبِّر عنها العارفون بالفَناء»(٦). ثم قال رحمه الله: «فهذه ثمرة لُبابِ الذكر، وإنَّما مبدؤها ذِكر اللِّسان، ثُمَّ ذِكر القلبِ تكلُّفًا، ثُمَّ ذِكر القلبِ طبعًا، ثُمَّ استيلاءُ المذكورِ وانمِحاءُ الذكر»(٧).

فالتَّصوُّف وأئمَّته والمربِّينَ والمرشدينَ قد أبَانوا للسَّالكِين في سَيرِهم إلى الله أنَّ الطَّريقَ العمليَّ الموصلَ إلى الله تعالى وإلى رضوانِه هو الإكثارُ مِن ذِكر الله في جميعِ الأحوالِ والأوقاتِ، فذِكر الله هو أصلُ الطَّريق والسُّلوكِ، وتكمُن أهمِّيته في ارتباطه بأسماءِ الله تعالى الحُسنى، وبكلِّ ما يتَّصلُ بِهِ سبحَانه مِن تَسبيحٍ وتَقديسٍ وتَعظيمٍ، فعظمَة الشَّيءِ تكمُن في ارتباطِه بالعَظيمِ، والذكر ضروريٌّ للسَّالكِ في أوَّل الطَّريق وفي جميع مرَاحلِه، وقد أجمعَ مشايخُ التصوُّف أنَّ المداومةَ على الذكر هي أسرعُ دواءٍ في جلاءِ قلبِ المريدِ، وليسَ ثَمَّة طريق يسلُكه المريدُ أصحَّ وأوضحَ مِنَ طريق الذكر، ولن يَترقَّى المريدُ إلَّا بالذكرِ؛ لأنَّه أساسُ طريقِ التَّصوُّفِ وسُلَّمُه، يقول الشاعر:

قَومٌ هُمُومُهُمُ بالله قَد عَلِقَت ... فَمَا لَـهُم هِمَمٌ تَسمُو إلَى أحَدِ
فَمَطلَبُ القَومِ مَولاهُم وسَيِّدُهُم ... يَا حُسنَ مَطلَبِهِم للواحِدِ الصَّمَدِ

وقَالَ أحدُهم:

لبيك لبيك يا سِـرِّي ونَـجوائِي ... لبيكَ لبيكَ يا قَصدِي ومعنَائِي
أدعُوك بل أنت تَدعوني إليكَ ... فهَل نادَيتُ إيَّاك أم نادَيت إيَّائِي

فذِكر الله تعالى هو شجَرةُ التَّصوُّفِ المثمرةُ الَّتي تُؤتي أُكلَها كلَّ حَينٍ بإذنِ ربِّها، والصُّوفيُّ الصَّادق هوَ الصُّوفيُّ الذَّاكِر، فالذكر مَنشور الولاية، ومنارُ الوصلةِ، وتحقيقُ الإرادة، وعلامةُ صحَّة البدايةِ، ودلالةُ النِّهاية، فليس وراءَ الذكر شيءٌ، وجميعُ الخِصَال المحمودةِ راجعةٌ إلى الذكر.

١- أخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب، باب فضل الذكر (٣٧٩٢).
٢- انظر: الرِّسالة القُشيريَّة (٢/٣٧٤).
٣- انظر: المصدر السابق (٢/٣٧٥).
٤- انظر: قواعد التصوف (١٥٤).
٥- انظر: مفتاح الفلاح في ذكر الله الكريم الفتَّاح (ص٧) تأليف: أحمدَ بن عبدالكريم بن عطاءِ الله السَّكَندري- خرَّجَ أحاديثَه: محمَّد عبدالسَّلام إبراهيم- دار الكتبِ العلميَّة- بيروت.
٦- انظر: الأربعين في أصول الدين (ص٣٥) تأليف: أبي حامد محمد بن محمد الغزالي- طبعة المكتبة التِّجاريَّة الكبرى بمصر.
٧- انظر: المصدر السابق (ص٣٧).

مَشروعيَّة الاجتماع على مجالس الذكر:

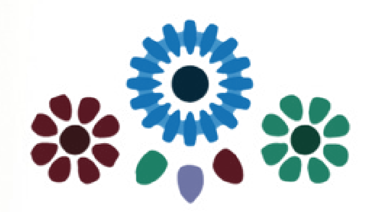
عن أنس بن مالكٍ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذَا مَرَرتُم بِريَاضِ الجَنَّةِ فَارتَعُوا» قالوا: وما رياض الجنَّة؟ قال: «حِلَقُ الذكرِ»(٨).

وعن أبي سعيدٍ الخُدري وأبي هريرةَ شهدا على النبيّ ﷺ أنَّه قال: «لَا يَقعُدُ قَومٌ يَذكُرُونَ الله عَزَّ وَجَلَّ إلَّا حَفَّتهُمُ المَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتهُمُ الرَّحمَةُ، وَنَزَلَت علَيهم السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ الله فِيمَن عِندَهُ»(٩).

وعن أبي سعيدٍ قال: خرج معاويةُ على حلقةٍ في المسجد فقال: «ما أجلَسَكُم؟» قالوا: جلسنا نذكُر الله، قال: «الله ما أجلَسَكم إلَّا ذاك؟» قالوا: والله ما أجلَسَنا إلَّا ذاك، قال: «أمَا إنّي لم أستحلِفكم تهمةً لكم، وما كانَ أحدٌ بمنزلَتِي مِن رسول الله ﷺ أقلَّ عنه حديثًا منّي، وإنَّ رسول الله ﷺ خرَج على حلقةٍ مِن أصحابه فقال: «مَا أَجلَسَكُم؟» قالوا: جلَسنا نذكُر الله ونحمدُه على ما هدانا للإسلامِ ومَنَّ به علينا، قال: «الله مَا أَجلَسَكُم إلَّا ذَاكَ؟» قالوا: والله ما أجلَسَنا إلَّا ذاك، قال: «أَمَا إِنّي لَم أَستَحلِفكُم تُهمَةً لَكُم، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبرِيلُ فَأَخبَرَنِي أَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ المَلَائِكَةَ»(١٠). ففي هذِه الأحاديثِ الشَّريفةِ ما يَدلُّ على جوَازِ واستِحبَابِ الاجتماعِ على الذكر بكافَّة أشكالهِ وصُورِه مِن علْمٍ وقراءةِ قرآنٍ أو تفكُّرٍ في أسماءِ الله وعظَمَتِه أو الإخبَارِ عن ذاتِ الله أو الدُّعاءِ أو الثَّناءِ على الله وتَمجيدِه وشُكرِه، كلُّ هذا يشمل حِلَق الذكر.

قال الإمام النَّووي: «اعلَم أنَّه كما يُستحبُّ الذكر يستحبُّ الجلوسُ في حِلَقِ أهلِه وقد تظَاهرتِ الأدلَّة على ذلك»(١١). وما كان له أصلٌ في سنَّة رسولِ الله فلا يَحِلُّ لأحدٍ أن يعترِضَ عليه أو يصِفَه بالبدعةِ، فاجتماعُ أهلِ التَّصوُّف على الذكر هو إحياءُ سنَّةٍ وصورةٌ مِنَ الصُّورِ التي كانَت على عَهدِ رسولِ الله ﷺ، وعلى النَّاس أن يَأخذُوا بيَدِ بعضِهم بعضًا لحضورِ مجالس الذكر، وممَّا يزيدُ مِن أهميَّة مجالسِ الذكر وجودُ الشَّيخ المربّي المرشِد على رأسِها حيثُ يقوم بالوعظِ والإرشادِ وتأليفِ القلوبِ والدَّعوةِ إلى الله، ويَشحنُ القلوبَ بالمَودَّة والمحبَّةِ وينيرُ الطَّريقَ للسَّيرِ إلى الله.

ولهذِه المجالسِ العامرةِ بذكر الله فوائدُ كبيرةٌ فهيَ مصدرُ طاقةٍ رُوحيَّةٍ ونفحةٍ إيمانيةٍ عظيمةٍ، فأيُّ مسلِمٍ إذا التَزم بمجلسِ ذِكرٍ فإنه سيجدُ فيه هذه الطاقةَ الرُّوحيَّةَ ممَّا يجعلُه يُدمِن حِلَقَ الذكر لا يقدِر أن يتخلَّف عنها وفي هذَا الخيرُ كلَّ الخيرِ، هذا مِن ناحيةٍ ومن ناحيةٍ أخرَى فإنَّ هذه المجالسَ تقوّي العلاقةَ بينَ النَّاس فتزدادُ أواصِرُ المحبَّةِ والتَّآلفِ والمودَّةِ بين مَن يَجتمعونَ في هذِه الحلقاتِ فتَتواصل القلوبُ ويَشيع الخيرُ بين المسلمِينَ، وكلُّ ذلك مِن بركاتِ الاجتماعِ على الذكر، ولكِن فلنَعلم أنَّ كلَّ مجلسِ ذكرٍ لابدَّ أن يكونَ مَقرونًا بمراعاةِ جميعِ حدودِ الشَّريعةِ الإسلاميَّة وآدَابها والتي يجبُ أن يلتزمَ بها المسلِمُ في جميعِ أوقاتِ حياتِه فضلًا عن أوقاتِ الذكر.



٨- أخرجَه الترمذي في كتاب أبواب الدعوات، باب (٣٥١٠). وقال: «حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ثابت عن أنس

(٩- أخرجه مسلِم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٢٧٠٠

(١٠- أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٢٧٠١

١١- انظر: الأذكار (ص٣٧) تأليف: الإمام أبي زكريًّا محيي الدِّين يحيى بن شرَف النَّووي- دار ابن حزم للطباعة والنَّشر- الطَّبعة الأولى- ٢٠٠٤م



الاتـحـادُ مُـحالٌ في شـريـعـتـنا
ما لـم يـكن بـيـن أكوانٍ وأكوانِ

وشـرطُه الـفـقرُ في ترقيع خرقتنا
وحـالُهُ الوصـلُ مِن إنساننا الثاني

فـهو الذي حازَ تـحـقيقًا حقيقَتنا
وهـو الذي يشهدُ البنيانَ والباني

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ رسول الله، وآله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين، وبه؛

فالاتحاد اصطلاحٌ استعمله العلماء كثيرًا، وقد أشار الجرجاني في كتاب التعريفات إلى بعض معاني الاتحاد بقوله: الاتحاد هو تصيير الذاتين واحدةً، ولا يكون إلا في الْعَدَدِ مِنَ الاثنين فصاعدا، وهو في الجنس يسمى مجانسة، وفي النوع مماثلة، وفي الخاصة مشاكلة، وفي الكيف مشابهة، وفي الكم مساواة، وفي الأطراف مطابقة، وفي الإضافة مناسبة، وفي وضع الأجزاء موازنة، وهو شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي الكل موجود بالحق؛ فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجودًا به معدوما بنفسه، لا من حيث أن له وجودًا خاصًا اتحدَ به؛ فإنه محال. وقيل الاتحاد امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئا واحدًا لاتصال نهايات الاتحاد. وقيلَ الاتحادُ هو القولُ مِن غير روّيةٍ وفِكر. "انتهى".

وفي هذه المسألة قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه في الباب التاسع والتسعون وثلاثمائة مِن الفتوحات المكية، وهو منزلٌ "من دخله ضربتُ عُنُقَهُ": وهذا هو منزل الاتحاد الذي ما سلم أحدٌ منه، ولا سيما العلماء بالله الذين علموا الأمر على ما هو عليه، ومع هذا قالوا به؛ فمنهم من قال به عن أمرٍ إلهيّ، ومنهم من قال به بما أعطاه الوقت والحال، ومنهم من قال به ولا يعلم أنه قال به، فأحوال الخلق مختلفةٌ فيه، فأما أصحاب النظر العقلي فأحالوه لأنه عندهم يُصَيّرُ الذاتين ذاتاً واحداً؛ وذلك محال.

ولمَّا تكلَّم في الاتحادِ جماعةٌ مِنَ الصوفية تصور البعض أنه اعتقادٌ من عقائدهم، وهذا خطأٌ عظيم يقع فيه من لا علم له باصطلاحهم، وليس له قدمٌ في سلوكهم وأذواقهم. فالاتحادُ فنٌّ مِن فنون السلوك يُنتجُ لصاحبه ذوقاً خاصاً في التوحيد الذي هو اعتقاد كل مسلم.

ولا يكون الاتحاد الا بالأكوان، وله مراقٍ في معراج التحليل، وقد يسمون هذا المعراج معراج الانسلاخ، وقد يسمونه طرح الجسدِ، كما أشارت إلى ذلك السيدة ست العجم بنت النفيس في شرحها لمشاهد الأسرار، وهذا موضعٌ لا يتسع للتعريف بهذا الفن، فلنوجز في وصفه بما يتضح معه معنى الاتحاد المشار إليه عند من قال به من سادتنا الصوفية، فإن لهم في التجردِ فنونا وكيفياتٍ تدور في فلك الاستهلاك في الذكر وترك المحسوسات والحس، وهو الفناء عن الأكوان في سبيل الحضور مع المُكوِّن جلَّ شأنه.

وقد يرتقون بالتفكر في آيات الآفاقِ وآيات الأنفس طلبا للحق بحسب قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ ومنهم من يعمَد إلى المضاهاة الحاصلة بين آيات الآفاقِ وآيات النفس، فيستغرق عقله في مد الرقائق بين حقائق الأكوان ودقائق الإنسان المشابهة لها حتى تصح الموازنة بينه وبين العالَم، فيُدرك المرتاض بهذه الرياضة حقائق الخلق بنسبتها للحق من جهة اسم أو أسماء إلهية، فيجد فيض ذلك الاسم أو تلك الأسماء على ما يحاذي به تلك الحقيقة من دقائق كونه الشخصي، فيعلم افتقار كل حقيقة إلى خالقها من وجهٍ محقَقٍ، ويجعلون أول هذا الطريق خلع الصفات المذمومة، ثم خلع التعلقات بالأكوان، ولا زال السالك يداوم على هذه الرياضة حتى يرى آيات الحق في الآفاق وفي نفسه، ويعلم ما هو مشترك بينه وبين كل كون، وبما يمتاز كونٌ عن كون، وهكذا يسافر بين الأكوان في مقابلاتٍ غايتها مقابلة حقيقته الجامعة بحقيقة العالَم، وهو الإنسان الكبير، ويتفاوت أهل هذا الفن في مراتب الإدراك بحسب تجردهم عن الأكوان وخلعهم لمظاهرها، وكذا بحسب مراتبهم في الجمعية. ومتى تعرى صاحب هذا الفن من المظاهر الكونية التي كسته، وجاوز النظر من مظاهر العالم إلى حقيقته، قابل العالم حقيقة بحقيقة، والحقائق إذا تعرت عما يميزها بعضها عن بعض تعارفت وتآلفت، فسموا ذلك التعارف اتحاداً.

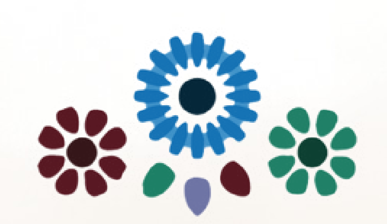
وهو ما أشار الفقير إليه في الأبيات السابقة من كون ما أسموه اتحاداً لا يكون إلا بين كونٍ وكون مما حواه العالم لمناسبة الاشتراك بين الأكوان من جهة المعاني مع امتياز الذوات كما قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه أنه محال، فإن الذاتين لا يصيرا ذاتا واحدً أبدا، ولا اتحاد بين العبد والرب من أي وجه، فهو تعالى الذي ليس كمثله شيء، كما أنَّهُ لا اتحاد بين حقيقة أي عبدٍ وحقيقة النبي ﷺ، التي هي حقيقة الحقائق، إذ هي مما وراء العالَم بما هو مخلوق يبلى.

ثم إن المضاهاة المشار إليها تستلزم من العبد تصور الكون الذي يمد اليه رقيقة الاستمداد، ثم يتجرد العبد عن تصوره فيتحد بحقيقة ذلك الكون. وحقيقته صلى الله عليه وسلم وراء طور العقول وتصوراتها، بل أن مدارك أكابر العارفين تطأطأ الرأس على أعتابها، فلا يتصور واهِمٌ أن تبلغ مبالغ القائلين بالاتحاد غير اتحادهم بحقيقة الإنسان الكبير الذي هو العالَم، وهو اتحادٌ شعوريٌ ما يلبث العبد أن يستشعره حتى يفنى عن حسه، ويتجرد من وصفه، فمنهم من يخلع الحق عليه من خلع الاسماء والصفات الحقية بقدر ما يخلع ذلك العبد عن نفسه من الأكوان واسمائها وصفاتها، وقد قلت في ذلك شعرًا:

للاتحادُ سلوكٌ وهو مذهبنا
ومبدأ القوم تصديقٌ وإحسانُ
فيشهدُ المرؤُ كلَّ الكونِ مفتقرًا
إلى الكمالِ، وفوق الكلِّ رحمنُ
فإن تقلّب في الآفاق ناظرهُ
وأشهدَ النفسَ فالألوانُ أوزانُ
فيعلمُ الشيءَ تقديرًا بنسبتهِ
لغيره؛ وهو للتحقيقِ ظمآنُ
فيخلع الكونَ بالتجريد معترفًا
بوزره؛ إنَّ حملَ الكونِ خُسرانُ
فإن تجرّدَ أبدى ما حقيقته
لحقّه، ثم إنَّ الأمرَ وجدانُ

فهذا معنى الاتحاد الذي قال به أهل هذا الطريق واصطلحوا عليه، ولا مشاحة في الاصطلاح، وقد قال رسول الله ﷺ: خصلتان من كانتا فيه لم يفته من الخير شيءٌ؛ حُسن الظنِّ بالله، وحُسن الظن بعبادِ الله، وخصلتان من كانتا فيه لم يفته من الشر شيء؛ سوء الظن بالله، وسوء الظن بعباد الله.

فلا يظنن ظانٌّ أنهم قصدوا أن يتحد العبدُ بالربِ، أو المخلوق بالخالقِ، فإن ذلك مذهب بعض من ألحدَ بالله من الفلاسفة الذين توهموا أن الله هو العالم، أو أنه حلَّ في العالم، فإن هؤلاء ممن صدّق قول الشيخ الأكبر فيهم حيث قال: من قال بالحلول فدينه معلول، وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد، والله تعالى واحدٌ بالإجماع، ومقامُ الواحدِ يتعالى أن يحل فيه شيء، أو يحل هو في شيء، أو يتحد في شيء، ولو صَحَّ أن يرقى الإنسانُ عن إنسانيته، والمَلَكُ عن مَلَكِيَّتِهِ، ويتحدَ بخالقِهِ تعالى لصحَّ انقلابُ الحقائق، وخَرجَ الإلهُ عن كونهِ إلهًا، وصارَ الحَقُّ خَلْقًا، والخَلْقُ حَقًّا. انتهى كلام محيي الدين بنَصِّهِ فرضي الله عنه ونفعنا بهذا البيان، والله من وراء القصد، لا رب غيره.



٥ خصائص الشاذلية (٤)

محمد عوض المنقوش

وممّا خَصَّ الله بِهِ هَذِه الثّلةُ العظيمَة السَّادة الشَّاذليَّة رضي الله عنهم : انتشارَ أورادهم وأحزابهم وقصائدهم وحكمهم في دوائر إخوانهم من أبناء طُرق أهل الله المتنوعة رضي الله عنهم، وزادهم جميعًا رِفعةً، والانتشارُ مقرون بالهدى والاتباع لأصول الدين، كما هو من أوصاف السادة الشاذلية، وهذا من علامات القبول والرضا من رب الأرض والسماء، وهي علامةُ الإخلاص رزقَ الله الجميع ذلك، كما الحال في كتَابِ رياض الصالحين والأربعين النووية للإمام محي الدين النووي رضي الله عنه المتوفى ٦٧٦ هـ.

وفي هذه الطائفة المباركة (السادة الشاذلية)، ترى هذا جليًّا بغير خفاء في ورد الشاذلية الأعظم والأشهر (حزب البحر) ، الذي أُفيضَ على إمام أرواحِنا أبي الحسن الشاذلي عليه الرضوان قبل وفاته بأيام قليلة وانتشر بعده انتشارًا عظيمًا؛ لأنه أوصى به أن نُحفظه الأطفال، وأن نقرأه بالليل والنهار.

ولمَّا ظَهرَ مِن بَركاتِ حِزب البحرِ ما ظَهرَ في كلِّ زمانٍ ومكان مِن إجابة الدُّعاء به، انتشر في الأفاق بين مُريديه، وتَجاوزهم إلى مُريدي طُرق أهلِ الله المُتعددّة، وهذا من بركات هذا الإمامِ العَلَمِ والقطب الذي انجذبت له الأقطاب، وعلامة عظيمة على إخلاصه وتمحضِّ توجهه لمولاه سبحانه وتعالى، حتى سَرى هذا السرَّ والاختصاص؛ (أي خُصوصية الانتشار) في أتباعه وأتباع أتباعه ، فترى قصيدةً هِي بكل القصائد شهرة ، ونظمها تبارت فيه القرائح جملة ، وعارضها بوزنها الفحول من شعراء الزمان بأبيات علّها تنال من عَبيرها شيئا، فما استطاع أحد ولا كان، حتى قال أمير من أمراء الشعر وهو أحمد شوقي فيها بعد ابتغاء تقليدها بقصيدته المشهورة (نهج البردة):

الْـمَـادِحُـونَ وَأَرْبَـابُ الْـهَـوَى تَـبَـعٌ
لِصَاحِبِ الْبُرْدَةِ الْفَيْحَاءِ ذِي الْقَدَمِ
مَـدِيـحُـهُ فِـيـكَ حُـبٌّ خَـالِصٌ وَهَوًى
وَصَـادِقُ الْـحُـبِّ يُـمْلِي صَادِقَ الْكَلِمِ
اللـهُ يَـشْـهَـدُ أَنِّـي لَا أُعَـارِضُـهُ
مَنْ ذَا يُعَارِضُ صَوْبَ الْعَارِضِ الْعَرِمِ؟
وَإِنَّـمَـا أَنَـا بَـعْـضُ الْـغَـابِطِـينَ وَمَنْ
يَـغْـبِـطْ وَلِـيَّـكَ لَا يُـذْمَـمْ، وَلَا يُـلَـمِ
هَـذَا مَـقَـامٌ مِـنَ الـرَّحْـمَـنِ مُـقْـتَـبَسٌ
تَـرْمِـي مَـهَـابَـتُـهُ سَـحْـبَـانَ بِالْبَكَمِ

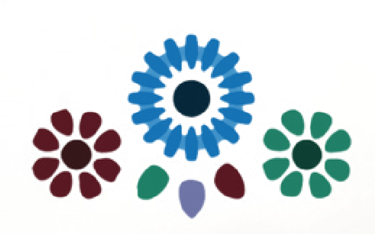
وغيره كثير ، تجاوز عددهم الـ ١٠٠ ممن شرحوا أو عارضوا وأرادوا تقليد صاحب البردة الشريفة الإمام البوصيري الشاذلي تلميذ أبي العباس المرسي رضي الله عنهما، والذي وُهِبَ هذه القصيدة (البردة) عن طريق الفيض حقًا بلا ريب، والدليل على ذلك : مقارنتها بديوان البوصيري الكبير الذي ستجد اختلافا في جودة النظم إذا ما قارنت البردة ببقية الديوان، وكأنهما لشخصين مختلفين تماما، وهذا من أدلة كونها إلهاما من الحق سبحانه وتعالى؛ لعدم قدرة أحد على مجاراتها وسبقها في ميدان المعاني والنظم ، وهذا ما جعلها على ذُروة قصائد الشعر في مدح سيدنا الرسول ﷺ ، وقد ذاع صيتها ، واخترقت القلوب والمسامع ، وجذبت كل محبٍ لرسول الله ﷺ، وشفت صدور قوم مؤمنين في التعبير عن حب السيد الأمين ﷺ، فترى كل محب من كل طريق من طرق السلوك لرب العالمين ، تتخذها رفيقا في مجلسها وعند كل احتفالٍ بمولده ﷺ، مع أن البوصيري عليه الرضوان شاذلي، إلا أن البردة الشريفة لا تعرف الحدود، فتجدها في مجلس كل محب .

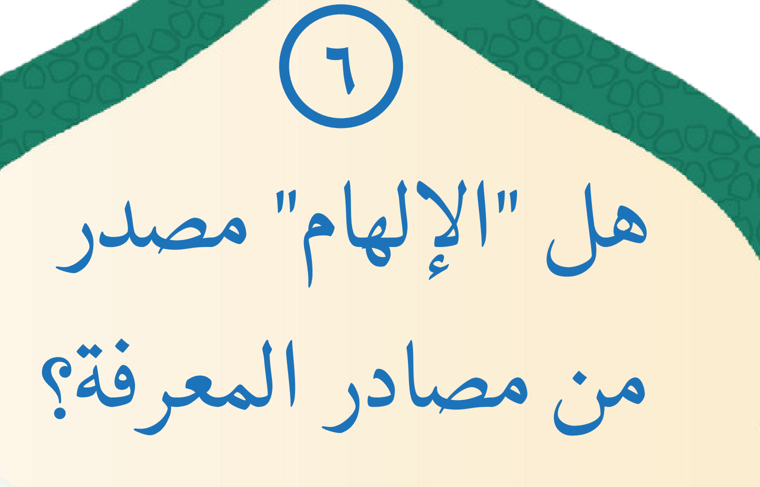
ونختم بتاج العارفين وسلطان المترجمين عن رب العالمين تلميذ أبي العباس المرسي رضي الله عنه وأنالنا من بركاته ، ألا وهو إمام الحقيقة والشريعة ، لسان العارفين ، المتكلم بالإذن العالي ، والمتضمخ بالمعنى الغالي ، سيد الطائفة ، سيدي ابن عطاء الله السكندري ، زاد الله ثراه طيبا ، الذي قيل له : تكلم فإن الله يحب أن يسمع كلامك ، إنها الحِكَمْ يا ساده "الحكم العطائية الثرية بالمعارف الإلهية ، بنسيج لا تراه إلا في هذه الحكم ، التي قال عنها المحققون : (لو جازت الصلاة بغير القرآن لجازت بالحكم العطائية) ، ذاعت كلماته وعباراته ومعانيه؛ لأنها خاطبت الروح التي لا سيرة لها إلا مولاها ، فحلّت الاشكالات ، وفككت عقد النفس بدون أن تخاطب النفس ، وحركت الجسد بدون أن تتعامل مع الجسد ، (إن من البيان لسحرا) ، يهبه الله لمن يشاء ، وهذه نبوءة شيخه المرسي بأنه سيكون سيدًا للطائفتين ولسانا للفريقين ، وبعد أن رأى السالكون ما فعلته بهم هذه الحكم ، من تغيير للحال وتعليقهم برب الأرض والسماء ، انكبوا عليها قراءة ودراسة وشرحا، مِن كلِّ مَشربٍ وطريق ، لمّا رأوها مزيلة لكل تعويق ، حتى أن الإمام زروق عليه الرضوان شرحها أكثر من ٣٧ شرحا.

وهذا كله من بركات إمامنا الشاذلي رضي الله عنه، الّذي كتب الله لطريقه الانتشار، فكانت أكثر الطرق على الاطلاق انتشارا ، وخصَّ أورادها وقصائدها وحكمها بالقبول والإقبال عليها من كل طائفة فكانت محل إجماع وحب وتعظيم .

وكانت هذه خصيصة من الخصائص الشاذلية التي أرجوا ختمها بعشرين.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه وسلم.





٦

هل "الإلهام" مصدر من مصادر المعرفة؟



د. مختار محسن الأزهري

أمين فتوى بدار الإفتاء المصرية

facebook.com/mokhtar.mohsn

يعدُّ "الإلهام" من المفاهيم الشرعية التي نزل بها القرآن الكريم، وجاءت في السنة المشرفة على لسان سيد الخلق ﷺ؛ فنجد في القرآن قولَه تعالى:﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[الشمس:٨]، وأما السنة ففي الحديث الشريف : "إن للشيطان لمَة بابن آدم وللملَك لمَة، فأما لمة الشيطان؛ فإيعاد بالشر ،وتكذيب بالحق، وأما لمة الملَك؛ فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله؛ فليحمد الله، ومن وجد الأخرى؛ فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، ثم قرأ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨] "(١)

وقد فسَّر كثيرٌ من شراح الحديث "لمَة الملك" بالإلهام؛ كالمناوي في "فيض القدير"(٢) والملا علي القاري في" مرقاة المفاتيح"(٣) .

وقد عرَّف بعض العلماء كالشريف الجرجاني الإلهام بأنه: "ما وقع في القلب من علم، وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجة" (٤)

ومن هنا وجدَ السادة الصوفية في "الإلهام" مادة جيدة للبحث والنظر والدراسة؛ لما أنهم أهل اتباع لما ورد في نصوص الشرع الشريف، وأهل عمل به، وليسوا أهل ابتداع ولا كسل! وقبل أن نتعرض لكيفية دراسة الصوفية للإلهام، نُعرج سريعا على ما قاله علماء الأصول بخصوص الإلهام، حيث تعرض علماء أصول الفقه لمسألة الإلهام؛ من حيث حجيتُه في الدِّلالة على الأحكام، فإن مردَّ علم أصول الفقه إلى سبعة مباحث، أو سبع نظريات أصولية(٥)؛

١-رواه الترمذي في سننه،كتاب التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة البقرة، الحديث رقم :٣٢٥٦، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، ورواه كذلك النسائي في الكبرى؛ كتاب التفسير باب سورة البقرة ، الحديث رقم: ١٠٩٨٥،وابن حبان في صحيحه باب الأدعية؛ الحديث رقم:٩٩٧.وسيأتي في آخر المقال شرح وافٍ للحديث الشريف للإمام أبي طالب المكي.

٢- فيض القدير للمناوي ٢/٦٣٣ ط.العلمية

٣- مرقاة المفاتيح لملا علي القاري ١/٢٣٥،ط.العلمية.

٤- التعريفات للجرجاني صـ٣٤

٥- انظر في عرض هذه النظريات كتاب المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية أ.د علي جمعة صـ٣١٢ ، ط.دار السلام

بحسب ما حرَّره شيخنا العلامة الأستاذ الدكتور علي جمعة -حفظه الله- ومن هذه النظريات بل على رأسها نظرية الحجية التي تقرر ما الحجة التي يرجع لها من أجل معرفة الأحكام الشرعية؟ فهل يكون الإلهام حجة في معرفة حكم شرعي؟ أي أن يقال بناء على الإلهام: إن هذا الفعل حلال أو حرام أو مكروه أو مباح كما هي الأحكام التكليفية الخمسة؟

الظاهر من كلام الأصوليين أن الإلهام لا يصلح أن يكون حجة مستقلة على الأحكام الشرعية كما هو الشأن في حجية الكتاب والسنة، وغيرهما من الأدلة الراجعة لهما، ومما استدل به على عدم الاعتداد بالإلهام كدليل مستقل؛ قوله صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟»، قال: أقضي بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد في كتاب الله؟»، قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: «فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ، ولا في كتاب الله؟» قال: أجتهد رأيي، ولا آلو فضرب رسول الله ﷺ صدره، وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول، رسول الله لما يرضي رسول الله»(٦)، قال الإمام أبو المظفر السمعاني في كتابه:"قواطع الأدلة"؛ تعقيبًا على هذا الحديث: "فلم يذكر بعد الكتاب والسنة إلهامَ القلب وإنما ذكر الرجوع إلى النظر والاستدلال"(٧)

إذن لم يعتد أئمة الأصول بحجية الإلهام استقلالًا، فالإلهام لا ينتج أحكاما شرعية،كما هو الشأن في حجية القياس أو الإجماع مثلا، والمسألة على كل حال مبسوطة في كتب الأصول(٨) بما يمكن لكل باحث أن يطالعه ويظفر بما يروي ظمأه المعرفي!

لكن ولما كان غرضنا هاهنا بحث المسألة وفق رؤية السادة الصوفية؛ فأقول -وبالله التوفيق-: لم يخالف السادةُ الصوفية رضي الله عنهم علماءَ الأصول في عدم الاعتداد بالإلهام كبرهان على الأحكام الشرعية، لكنهم أيضا أعملوه وطبقوه فيما دلت عليه النصوص السابقة التي أوردتها أول المقال؛ حيث جعلوا دلالة الإلهام بما يمكن أن يطلق عليه"دلالة تبعية خاصة"؛ فهي تبعية أي من جهة أنها "تابعة" لما دلت عليه الأدلة الشرعية ابتداء -ولو إجمالا-، و"خاصة" أي هي تخص من وقع في نفسه ذلك؛ وكما يقال: بالمثال يتضح الحال؛ فلو أن شخصًا وقع في نفسه أن يتصدق أو يصلي ركعتين طلبًا لحل مشكلة وقع فيها، ففرج الله عنه؛ فهذا من جنس الإلهام المعمول به عند السادة الصوفية؛ إذ الصدقةُ والصلاةُ مما حثت عليه النصوص، وأكدت على بركاتهما؛ فلكلِّ عملٍ من أعمال الخير بركة تعود على صاحبها(٩)، لكن مقارنة ذلك الخاطر والإلهام لما وقع فيه من مشكلات هو من خلق الله ومن إلهامه الذي يؤكد الصوفية على أهمية أن يراعيه ويسارع بالاستفادة منه؛ يقول الإمام أبو طالب المكي في كتابه قوت القلوب: " فيلقي الملك الإلهام وهو خُطوره على القلب بقدح خواطره يأمر بتقييد ذلك ويحسنه له ويحثه عليه، وهذا هو إلهام التقوى والرشد......ثم قال : " فأما خاطر الملك فلا يرد إلا بخير صريح، وبرٍ محض على كل حال إذا ورد؛ لأن الخداع والحيلة ليس من وصف الملائكة، ولكن قد تنقطع خواطر الملك من القلب إذا اشتدت قسوته ودامت معصيته من المتعبدين، فيخلى بين القلب وبين نوازع العدو اللعين، ويتخلى العدو بهوى النفس؛ فيستحوذ ويقترن بالعبد، نعوذ بالله من إيعاده وعدم خيره وإرشاده." (١٠)

إذن بان لنا أن الإلهام كمفهوم شرعي معمول به كنتيجة من نتائج السير والسلوك إلى الله كنوع من التوفيق والمعونة الإلهية على مزيد السير والسلوك إلى الله.

وهو ما سمعناه مرارًا وتكرارًا من شيخنا إمام الطريقة ومعدن الحقيقة سيدي نور الدين علي جمعة -نفعنا الله بسرِه- أن مصادر المعرفة عندنا هي الحس والعقل والخبر الصحيح(١١) و يضاف لها؛ الذوق ونعني به التوجه القلبي ومرتبة الإحسان وما يحصل من توفيق للعبد في سيره إلى الله على نحو قول الله تعالى :﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[الشمس:٨] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذين جاهدوا فِينَا لنهدينهم سبلنا وَإن الله لمع الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩] فمن جاهد شاهد؛ فالمقصود هو الله وليس ما يورده الله على قلب السالك من معارف وإلهامات، لكنها منح وعطايا الرب التي تستوجب الحمد، وتستتبع مزيد الإقبال من العَبد.

٦- رواه أبو داود الحديث باب اجتهاد الرأي في القضاء؛حديث رقم: ٣٥٩٢

٧- قواطع الأدلة في الأصول لأبي المظفر السمعاني ٢/٣٤٩،ط.دار الكتب العلمية.

٨- من ذلك: تقويم الأدلة في أصول الفقه لأبي زيد الدبوسي صـ ٣٩٢،ط.دار الكتب العلمية، البحر المحيط للزركشي ٨/١١٣، ط.دار الكتبي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني ٢/١٩٩، ط.دار الكتاب العربي

٩- لدلالة قوله تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧]

١٠- قوت القلوب في معاملة المحبوب لأبي طالب المكي ١/٢١٥ وما بعدها ط.دار الكتب العلمية، الثانية ٢٠٠٥ م

١١- وهو ما نص عليه أئمة علم الكلام قال الإمام النسفي: " وأسباب العلم للخلق ثلاثة: الحواس السليمة، والخبر الصادق، والعقل" [انظر:شرح العقائد النسفية للتفتازاني صـ١٥ وما بعدها ط.الكليات الأزهرية]



القطب الغوث

الرجل الكامل، سُكُرُدَان الأولياء

سيدي أبو العباس المرسي (٢)*



عبد العزيز معروف

باحث في التراث الإسلامي

"رفعتَ إلي منذ عشرة أعوام"

كذا قال سيدي أبو الحسن الشاذلي لسيدي المرسي لما ذهب إلى تونس وهو شاب حينئذ، وقد أراد أن يسلك طريق الهداية، فذكر أنه سمع عن سيدي أبي الحسن ، وكان معه صحبة ، فقال له أحدهم: هلم نمضي إليه _ أي إلى سيدي أبي الحسن، فقال: حتى أستخير الله ،وقال: فنمت تلك الليلة فرأيت كأني أصعد إلي رأس جبل فلما علوت فوقه رأيت هناك رجلًا عليه بُرنس أخضر، وهو جالسٌ عَن يمينِه رجلٌ وعن يَسارِه رجل، فنظرت إليه فقال: عثرت على خليفة الزمان، قال: فانتبهتُ فلمَّا كانَ بعدَ صلاةِ الصُبح أتاني الرَّجل الّذي دعاني إلى زيارة الشيخ، فسرت معه، فلمَّا دخلنَا عَلى الشيخِ رأيتُه بالصِّفَة التي رأيتُه فوقَ الجبل ؛ قال: فَدُهشتُ، فقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي عثرتَ على خليفةِ الزَّمَانِ، ما اسمُك؟ فذكرتُ له اسمي ونسبي، فقال لي: رُفعت إليَّ منذ عشرة أعوام.اهـ

فالمريدُ مُرادٌ، ولكن إذا صَدقَ النيَّةَ وحدثت عِندَه الهمَّة؛ أعنى همَّةَ الإرادة لا همة التنبه ولا همة الحقيقة(٢)، فهمَّة الإرادة كما يقول الشيخ الأكبر قدس سره: جمعيَّة لا يقوم لها شيء، وتُحدِث عِند الشيخ علمًا يُوصله إلى صاحبها.

وكان سيدي أحمد أبو العباس المرسي في هذا الوقت يُعلِّم القرآنَ في زاوية الفقيه محرز بن خلف، وتذكر كتب التراجم أنه دخل تونس سنة ٦٤٠ هـ(٣)

وبعد ما حدث صار سيدي المرسي يتردّدُ على القطب الشاذلي، ويحضر مجالسه التي كان يعقدها للتعليم، وأظهر سيدي المرسي نجابة وصفاء ، فاختصه القطب الشاذلي بأسرار الطريق وعلل النفوس، يقول سيدي المرسي: كنت مع الشيخ أبي الحسن بالقيروان، وكان شهر رمضان، وكانت ليلةَ جُمعةٍ،

- ينظر: الوفي بالوفيات (٧/١٣٧)، طبقات الأولياء لابن الملقن (ص:٤١٩)، لطائف المنن (ص:٦٤)، الطبقات الكبرى للشعراني (٢/١٥)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (١/٥٢٣).

٢- ذكر سيدي محيي الدين ابن العربي قدس سره أن مراتب الهمة ثلاثة، وهي : همة التنبه، وهمة الإرادة، وهمة الحقيقة ، أما همة التنبه، فهي تيقظ القلب لما تعطيه حقيقة الأنسان مما يتعلق به التمني سواء كان محالاً أو ممكناً فهي تجرد القلب للمنى فتجعله هذه الهمة أن ينظر فيما يتمناه ما حكمه فيكون بحسب ما يعطيه العلم بحكمه فإن أعطاه الرجوع عن ذلك رجع وأن أعطاه العزيمة فيه عزم فيحتاج صاحب هذه الهمة إلى علم ما تمناه.. وهمة الحقيقة هي: جمع الهمم بصفاء الإلهام فتلك همم الشيوخ الأكابرمن أهل الله الذين جمعوا هممهم على الحق وصيروها واحدة . (الفتوحات المكية ٤/٢٢٣).

٣- حسن السندوبي ، أبو العباس المرسي (ص:٤٧).

وكانت ليلة سبعة وعشرين، فذهب الشيخ إلى الجامع وذهبت معه، فلما دخل الجامع وأحرم رأيتُ الأولياء يتساقطون عليه، كما يتساقط الذباب على العسل، فلما أصبحنا وخَرَجْنَا من الجامع، قال الشيخ: ما كانت البارحة إلا ليلة عظيمة، «وكانت ليلة القدر» . ورأيت الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو يقول: «يا علي، طهر ثيابك من الدنس تَحْظَ بمدد الله في كل نفس». قلت: يا رسول الله، وما ثيابي؟ قال: «اعلم أن الله قد خلع عليك خمس خِلَع: خلعة المحبة، وخلعة المعرفة، وخلعة التوحيد، وخلعة الإيمان، وخلعة الإسلام؛ فمن أحب الله هان عليه كل شيء، ومن عرف الله صَغُرَ لديهِ كلُّ شيء، ومن وَحَّدَ الله لم يشرك به شيئًا، ومن آمن بالله أَمِنَ من كلِّ شيءٍ، ومن أسلم لله مَا يعصيه، وإن عصاه اعتذر إليه، وإن اعتذر إليه قبل عذره»؛ ففهمت حينئذ معنى قوله عز وجل: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤](٤)

نجد أن سيدي أبا الحسن علم سيدي المرسي سِرًّا من أسرار الطريق، وهو التجريد ، وأن الباب الحقيقي هو باب العلم بالله ، وأن لكل خِلعةٍ علة، والخِلع عطايا ومنن إلهية، فامتن الله على المريد الصادق بخمس خلع، محبة ومعرفة وتوحيد وإيمان وإسلام، فرأسها المحبة وذروة سنامها الإسلام، وبه يصل العبد إلى التجريد، وشرح هذه العبارة يطول.

وقد أحب القطب الشاذلي سيدي المرسي حبا شديدا، حتى قال له: «يا أبا العباس، ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا، وأنا أنت»، ولقد رأيت فيك ما في الأولياء ، وما رأيت في الأولياء ما فيك.

وقـديـماً قـال فـيه شـيخـه
وهو قطب الأرض ذو العلم الأعـم
إنــما أنـــت أنا فاعــلـم بـذا
إن هـذا لـيـس أمـراً مكـــتـم

وأثر هذا في سيدي المرسي ، ولم لا فهو معلم الخير المؤدِّب المُؤدَّب ، فقد كان يقول كثيراً قال الشيخ قال الشيخ، كلما ينقل كلاماً، فقال له إنسان :لا نراك قط تسند لنفسك كلاماً؟ فقال رضي الله عنه: لو أردت عدد الأنفاس أن أقول: قال الله قال الله لقلت، ولو أردت عدد الأنفاس أن أقول: قال رسول الله ﷺ لقلت، ولو شئت أن أقول على عدد الأنفاس: قلت أنا لقلت، ولكن أقول: قال الشيخ، وأترك ذكر نفسي أدباً.

قَدْ رَأَيْــنَـا كُـلَّهُـمْ فِي وَاحِدٍ
ذِي بَـهَــاءٍ وَوَفَـاءٍ وَهِـمَــمْ
فَي أَبِي الْعَبَّاسِ مَجْمُوعُ الَّذِي
مَـنَـحُـوهُ مِـنْ عُلُومٍ وَحِكَمْ

ثم ارتحل معه إلى مصر سنة ٦٤٢ عندما حدثت فتنة ابن البراء، وفي هذا يحكي سيدي المرسي قائلا: كنت مع الشيخ في السفر، ونحن قاصدون إلى الإسكندرية، حين مجيئنا من المغرب، فأخذني ضيق شديد حتى ضعفت عن حمله، فأتيت الشيخ أبي الحسن، فلما أَحَسَّ بي قال: أحمد، قلت: نعم يا سيدي

قال: آدم خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنته نصف يومٍ = خَمْسَمِائة عام، ثم نزل به إلى الأرض، واللهِ ما أنزل اللهُ آدم إلى الأرض لينقِصَه، ولكن نزل به الأرض ليكمِّلَه، ولقد أنزله إلى الأرض من قبل أن يخلقه بقوله: ﴿ ... إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ... ﴾، ما قال في السماء ولا في الجنة؛ فكان نزوله إلى الأرض نزول كرامة لا نزول إهانة؛ فإنه كان يعبد الله في الجنَّةِ بالتعريف، فأنزله إلى الأرض ليعبده بالتكليف، فلما توفرت فيه العبوديتان؛ استحق أن يكون خليفة، وأنت أيضًا لك قسط من آدم كانت بدايتك في سماء الروح في جنة المعارف، فأُنزلت إلى أرضِ النفس لتعبده بالتكليف، فإذا توفرت فيك العبوديتان استحققت أن تكون خليفة.

ففي هذا تعهدٌ مِنَ الشيخ للمريد، يُعلِّمَه أنَّ التكريم الحقيقي في التكليف وأن العبرة بالتمكين لا التلوين، وأن الإنسان لا بُدَّ لهُ مِن شريعة وحقيقة وبهما يكمل ، وأن المحن والبلايا، والنعم والعطايا، من السنن الإلهية، ولكن انظر بعين العبودية تكون مستحقا للاستخلاف.

٤- لطائف المنن (ص: ١٩٩)، اللطيفة المرضية لابن ماخلا، (ص:٤٢)، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان (٤/١٠٨).

نزل القطب الشاذلي وسيدي المرسي رضي الله عنهما الإسكندرية واتخذ سيدي القطب الشاذلي دارا بإزاء قلعة "كوم الديماس"، المعروفة الآن بكوم الدِّكة، وتزوج سيدي المرسي من ابنة سيدي أبي الحسن الشاذلي، وأنجب منها: جمال الدين محمد ، وأبي العباس أحمد، والسيدة بهجة.

وفي سنة ٦٤٦ هـ اختار سيدي الشاذلي جامع العطارين لإلقاء دروسه، وفيه أقام سيدي المرسي خليفة له، فأخذ يلقي الدروس وإرشاد المريدين، وتعليم الطلاب، فكان يقرأ من كتاب الإرشاد لإمام الحرمين الجويني وكان كتابًا مُقررا للدرس الكلامي في هذا الوقت ، وهو مُصنَّفٌ على مَذهبِ أهلِ السنَّة السَّادة الأشاعرة رضوان الله عليهم ، والكتاب دقيق في بابه وعباراته ، ويقرأ في الفقهِ مِن تَهذيبِ المُدونة فهو مالكي ، ويقرأ في الحديث مصابيح السنة للبغوي، وكان يقرأ من قوت القلوب لأبي طالب المكي والكتاب من الكتب المؤسسة للتصوف، وأيضا ختم الأولياء للحكيم الترمذي.

ثم استأذن سيدي المرسي القطب الشاذلي في الدخول للقاهرة، فدخل واتخذ من مسجد الحاكم بالمقسِّ(جامع أولاد عنان)، ولم ينقطع عن القراءة على شيخه سيدي أبي الحسن ، فذكر أنه كان يذهب كل ليلة إلى الإسكندرية يقرأ عليه من قوت القلوب، وإحياء علوم الدين، والرسالة القشيرية، ومما يذكر هنا عن القطب الشاذلي أنه كان يقرأ لطلابه من الكتاب لسيبويه، وهو مرجع النحاة، وهذا يدل على مكانة القطب الشاذلي في العلم ومن ثم أصحابه.

وقد صاحب سيدي المرسي القطب الشاذلي في رحلاته الدعوية داخل مصر، حتى صاحبه في رحلة الحج الأخيرة التي انتقل فيها القطب الشاذلي رضوان الله عليه إلى الرفيق الأعلى.

وبعد وفاة سيدي أبي الحسن لم ينقطع سيدي المرسي عن التربية والتدريس ، وأخذ يذهب إلى القاهرة في الصيف مع إقامته في ثغر الإسكندرية، فكان يذهب إلى مسجد الفسطاط (جامع سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه)، وما زال قائما على الدعوة إلى الله حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ٦٨٥،

وقيل: ٦٨٦هـ، وكانت يوم وفاته يوما مشهودا ، ومقامه معروف يزار وأقيم عليه المسجد الحالي ، وذكر حسن السندوبي في كتابه عن سيدي المرسي ومسجده: أنه لم يقم عليه بناء إلا سنة ٧٠٦ هـ، فاللهم ألحقنا به وحققنا بعلومه ومعارفه.

بِـأَبِي الْـعَـبَّـاسِ زَالَـتْ كُـرْبَةٌ
عَنْ قُلُوبِ الْخَلْقِ وَانْجَابَتْ ظُلَمْ
وَبِـهِ شَـمْـسُ الْهُدَى قَدْ ظَهَرَتْ
وَبِـهِ دُرُّ الْـعُـلُومِ قَـدْ نُـظِـمْ





شيخ القاسمية "محمد كشك" بين القاهرة إلى مراكش

٨

د. عمر محمد الشريف

المربي المؤدب الأمي المتقشف
الشيخ محمد بن علي بن الدراز الشاذلي
بن الأحمدي، القاهري بلداً، المالكي مذهباً، الشاذلي القاسمي طريقة، الشهير بكوجك "كشك"، (ت سنة ١١٧٠هـ). من مشايخ التصوف في القرن الثاني عشر الهجري، يقع مسجده بشارع البقلي بحي الخليفة. عاش حياته بجوار مسجد السيدة نفيسة رضي الله عنها، خادماً لها، وصف بأنه ذو سيرة حسنة، وطريقة مستحسنة، وأدب وتواضع وأخلاق حسان وزهد وتقشف وسخاء، وإحسان، مع التخلي عن الدعوى، والتحلي بحلى التقوى.

كان شيخاً للطريقة القاسمية الشاذلية بمصر، والطائفة القاسمية هم أصحاب الشيخ أبي عبد الله، أبي القاسم بن أحمد بن عيسى بن عبد الكريم بن للوشة السفياني، الشهير بأبي عسرية. من مشاهير الصلحاء وأحد كبار مرابطي الغرب، المتوفى سنة ١٠٧٧ هـ.

أخذ الشيخ كشك الطريقة القاسمية عن الشيخ العارف أبي العباس أحمد بن علي السوسي نزيل مراكش ودفينها (ت١١٣٠هـ) حين كان حاجًا الحجة الأخيرة. ولما رجع السوسي للمغرب، لم يتمالك كشك عقله من محبته فيه فرحل من مصر لاحقاً به إلى مراكش، ولا غرابة في انتقال الشيخ كشك من المشرق للمغرب بحثا عن شيخه السوسي، قاصداً ملازمته، فيبدو أنه وجد ضالته فيه، وأراد أن يستزيد وينهل من معارفه وأسراره. إلا أنه لما وصل إلى مراكش وجد الشيخ السوسي قد توفي، فأقام عند ضريحه سنة كاملة، ثم عاد إلى القاهرة، وأدخل الطريقة القاسمية الشاذلية لمصر.

لم يكن الشيخ السوسي هو المغربي الوحيد الذي تأثر به الشيخ كشك بل أخذ عن آخرين من المغاربة منهم: الشيخ السالك الولي علي بن عزوز المغربي، الكائن ضريحه وزاويته ببلد زغوان بتونس، وهو من مشاهير الأولياء، وأصله من فاس.

السوسي وابن عزوز كلاهما أخذا عن الشيخ قاسم بوعسرية، عن الشيخ محمد الشرقي، عن والده الشيخ عبد السلام بن الزعري، عن الشيخ عبد الله بن ساسي، عن الشيخ سيدي عبد الله الغزواني نزيل مراكش ودفينها، توفي سنة ٩٣٥هـ.

وأخذ أيضا الشيخ محمد الشرقي عن الشيخ رضوان بن عبد الله الجنوي الفاسي دفين فاس سنة ٩٩١هـ ، عن الشيخ عبد الله الغزواني عن الشيخ عبد العزيز الحرار الشهير بالتباع (ت٩١٤هـ) عن الشيخ محمد الصغير السهلي عن الشيخ محمد بن سليمان الجزولي.

وممن لقيه من المغاربة العلامة عبد المجيد بن علي المنالي الزبادي الحسني (١١٦٣هـ)، الذي سافر للحج عام ١١٥٨هـ، فحج وزار، ولقي العلماء والأخيار، وأخذ عنهم وألف في ذلك رحلته "بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام"، وأخذ الزبادي عن الشيخ كشك، وذكر أن كشك كان يخرج للحج كل سنة غالبًا. وقد حج معه، واجتمع به في الحجاز، ولما أقام عبد المجيد الزبادي بمصر كان يتردد إليه وينزل في منزله بجوار مسجد السيدة نفيسة رضي الله عنها، وذهب معه يوماً إلى روضة النيل فشاهد مقياس النيل الذي يعد من أقدم الآثار المعمارية الإسلامية الباقية بمصر، وزار معه جامع عمرو بن العاص أول جامع أنشئ بمصر، وحضر عنده مولد السيدة نفيسة.

وعمل له ضيافة في زاوية السادات الوفائية بالقرافة فأقام الزبادي ومن معه من المشايخ المغاربة بالزاوية ثلاثة ليال بأيامها. وذكر أن للشيخ كشك كلام نفيس في طريق القوم، وقد طلب منه أصحابه أن يجمع لهم ذلك في ديوان فأسعفهم، ورأى الزبادي ما دونه الشيخ كشك، وقرأه عليه، ونقل منه في كتابه "بلوغ المرام". وذكر ان للشيخ كرامات وخوارق عادات لم يذكرها في كتابه واغنى عنها الحكم التي نقلها عنه والتي تبرز أن له قدم راسخ في الخصوصية مع كونه من عامة الناس بحسب وصف عبد المجيد الزبادي.

من كلام الشيخ كشك:

- اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم تشعشع نور المعرفة.
- من علامات محبة الله: الإقبال على الله، والإعراض عما سواه، والاشتغال بالطاعة وهجران المعصية.
- من علامة الخذلان: ترك الطاعة، واتباع العصيان، وتعلق القلب بما غاب في الأكوان، وبطر الخير والإحسان فذلك هو الخسران.
- الصالح: من واظب على الطاعات والذكر والتلاوات، وقدم الباقية على الفانية.
- ليس كل من ادعى شيئا ملكه، ولا من ترك شيئا فاته.
- من عرف ذلته، وخرج عن قدرته، واستصغر نفسه، وفوض أمره لربه، كان علامة نصره.
- طاعة الشيخ عز الدارين.
- الصبر رداء أهل المحبة، والحلم ثوب الخلة، والعفو بساط لا يجلس عليه إلا من سلم قلبه من الأغيار.
- إن صفا المريد وصل.
- السعيد محفوظ قبل وجوده والشقي مطرود.
- علمك الأشياء على حقيقتها عز دائم.
- من دام نوره خمدت أعدائه.
- النجاة جسر من وراء بحرين لا يبلغه إلا من قطعها.
- تشوفك لمن هو مثلك يمنعك من قربك.
- ما عرف حال الرجال إلا من دخل الميدان.
- ميدان الفكر لا يدركه إلا عاقل وبحر المحبة لا يخوضه إلا عاشق.
- السائر إذا جد في سيره وصل، قطع الطريق سهل على من قربه.
- التوبة سراج يضيء في البيت المظلم، والإخلاص زيته، والندم يزيد في أنواره.
- موت الرجال حياتهم، وموت غيرهم هلاكهم.
- الرجال تصل بقدر الهمم.
- ارفع همتك عن الخلق تكن من أهل الحق.
- رفع الهمم وكثرة الندم تخرج من العدم.
- ما توجه عبد لسيده إلا قبله، ولا هرب عنه إلا وطلبه.
- إذا قربك أشهدك طلبه إياك، وإن أبعدك أشهدك طلبك إياه.
- أين غاب حتى تطلبه؟ ولا شيء إلا هو موجده، أوجد الأشياء من العدم، وقسم الكائنات في القدم.
- الأنوار هدية من الله لمن أراد قربه. انتهى.

كان الشيخ كشك مضيافاً كريماً سخياً، يجتمع بمنزله المشايخ، وكانت له روابط قوية بعلماء المغرب، يلتقي بهم خلال رحلاتهم أداء مناسك الحج، حيث كانت مصر محطة حتمية فى طريق قوافل الحج المغربية ذهاباً وإياباً يستريحون فيها، فيذكر الشيخ عبد المجيد الزبادي انه ورفيقه الشيخ الهادي بن محمد العراقي الحسيني اجتمعا بالشيخ أحمد بن عبد الفتاح الملوي الشافعي (ت١١٨١هـ)، والشيخ أحمد بن حسن الجوهري الخالدي (ت١١٨٢هـ) بمنزل الشيخ كشك، كما اجتمع الزبادي أيضا بالشيخ عبد الكريم المغربي المكناسي الشريف الحسني بمنزل الشخ كشك.

ويذكر محمد التاودي بن سودة (ت١٢٠٩هـ) أن قدم صاحبه الحاج قاسم الرجراجي من الحج سنة نيف وخمسين، وجاءه بكتاب من عند الشيخ محمد كشك، وقال له: يسلم عليك، ويقول لك : تطلع تحج.

ومن الآخذين عنه من المغاربة:

الشيخ محمد بن علي المنالي الزبادي الحسني(ت ١٢٠٩هـ) ، أخو عبد المجيد السابق ذكره، اجتمع به في حومة الرميلة بمراكش،كما لقيه بمصر خلال رحلته للحج سنة ١١٦٦هـ، وحضر عنده بمصر في مولد السيدة نفيسة رضي الله عنها، وتبرك بمن حضره من أهل الخير من العلماء والصالحين السالكين، ووصف كشك بأنه تعتريه أشواق كثيرة عظيمة ليلاً ونهاراً شيئا لا يكيف. ولمحمد المنالي مؤلفات منها: تنبيه الفقير من الغفلة والتقصير إلى الخدمة والتيسير، ودوحة البستان ونزهة الإخوان في مناقب الشيخ علي بن عبد الرحمان الدرعي، وسلوك الطريق الوارية في الشيخ والمريد والزاوية.

الشيخ محمد غازي المدعو: عزيزي القنيت، الدباغ حرفة. خرج من بلده للحج، وفي مصر التقى بالشيخ كشك، وكان الشيخ أحمد بن أحمد السوسي والشيخ عبد المجيد الزبادي كتبوا كتاباً دفعه له، فقرأه الشيخ، وأنزل القنيت عنده، وانتفع منه القنيت، وأخذ عنه، وكلاهما أمي. وشرط الشيخ كشك على القنيت شروطاً وقبلها، ومنها: ملازمة الزاوية، وخدمة الفقراء وجمعهم، وعلى أن لا يجلس إلا في الموضع الذي يفضل عنهم، وإلا فليبق واقفا، ولا يأكل حتى يستكفوا ، ولا يشرب حتى يرووا، وليعد مريضهم، ويحضر جنازة ميتهم، ويشيع مسافرهم، ويقف معهم في فرحهم وحزنهم، ويوقر كبيرهم، ويرحم صغيرهم، ويقبض من الغني، ويعين الفقير، ويصالح بينهم، ويصفح عن المسيء، ويؤلف بينهم، ويحن ويحنن عليهم، ويشفق منهم، ويرودهم للحنانة والشفقة، ويؤلفهم لذالك وللتودد بينهم، وينهاهم عن المكافقة بينهم. ثم قال له أو تقدر على هذا. قال: نعم، قبلت رضي ورضيت، فتعاهد معه على ذلك.

والعارف المربي الشيخ عبد الوهاب التازي (ت١٢٠٦هـ)، لقيه بمصر وأخذ عنه، ولقي العلامة محمد بن سالم الحفناوي، وأخذ عنه الطريق الخلوتية، والشيخ محمود الكردي والشيخ عيسى البرناوي والشيخ السمان، وغيرهم من مشايخ مصر. وكان من جملة من لقي في أول أمره القطب الأشهر الشيخ عبد العزيز الدباغ، اجتمع به مراراً، وأخذ عنه.

أما تلاميذه المصريين، فمنهم:

الحافظ السيد محمد مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) الذي نعته في "المعجم المختص" بقوله "شيخنا سيدي محمد كشك".

الشيخ علي بن محمد الحباك الشافعي الشاذلي، خليفته الأول، خلفه في الطريقة والزاوية، تفقه على الشيخ عيسى البراوي (ت١١٨٢هـ) وبه تخرج، وأخذ الطريقة القاسمية الشاذلية عن الشيخ كشك وإليه انتسب، ولما توفي كشك، جعل شيخاً على المريدين، وسار فيهم سيرا مليحا. نعته الزبيدي بـ"صاحبنا الشيخ الفاضل، الصالح". وقال :"اجتمعت به كثيراً في قلعة الجبل إذ كان إماماً هناك في زاوية، فأحببته في الله ورسوله وأحبني وكان شيخاً حسن العشرة، لطيف المحاورة، طارحاً للتكلُّف، متواضعاً، وقد صارت له مريدون وأتباع خاصة غير أتباع شيخه. توفي في يوم الاثنين ٢٣ شعبان سنة ١١٩٥هـ".

دفن في القبر الذي دفن فيه شيخه بالمسجد، وخلفه ابنه الشيخ محمد مصطفى البرموني إلى وفاته سنة ١٢٩٨هـ ودفن بحوطة أسلافه في المسجد. وخلفه عبدالمجيد بن محمد البرموني مات في شوال سنة ١٣٣١هـ، فولده الشيخ صالح البرموني المتوفى سنة ١٣٥٤هـ.

وقد ذكر علي باشا مبارك في "الخطط التوفيقية" زاوية الشيخ كشك فقال: جامع الشيخ كشك، هذا المسجد بجوار مسجد القبر الطويل خارج بوابة السيدة سكينة رضى الله عنها بينها وبين السيدة - نفيسة، عن شمال الذاهب إليها، وهو مقام الشعائر، وبه ضريح الشيخ محمد كشك، وضريح الشيخ مصطفى الحبال، وضريح الشيخ على الحباك، وضريح الشيخ محمد البرموني، وله ميضأة وشعائره مقامة من إيراد محلات بجواره موقوفة عليه ونظارته تحت يد الشيخ عبد المجيد البرموني.

وينسب للشيخ علي الحباك مخطوط "ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة القاهرة (سنة ١١٢٣ هـ - ١٧١١ م)، وهو كتاب يتناول فيه أخبار فتنة دموية دارت بين فرق الحامية العثمانية في مصر واستمرت سبعين يوم في عام ١١٢٣هـ، وأشار مؤلف الكتاب إلى اسمه في آخر كتابه، إذ قال إنه علي الشاذلي الفرا.

-السيد إبراهيم بن أحمد بن يوسف بن مصطفى بن محمد أمين الدين ابن علي سعد الدين بن محمد أمين الدين الحسني الشافعي المعروف بقلفة الشهر، (ت١٢٠٢هـ). تفقه على شيخ والده السيد عبد الرحمن الشيخوني، وأخذ طريق الشاذلية والأحزاب والأذكار على الشيخ محمد كشك وكان يبره ويلاحظه بمراعاته وانتسب إليه، وحضر الصحيح وغيره على السيد مرتضى الزبيدي وسمع عليه كثيرا من الاجزاء الحديثية في منزله.

وذكر الجبرتي في تاريخه أن كان بين كشك والشيخ عبد الله النكاري مودة ومؤاخاة، حيث قال في ترجمة الكناري: الشيخ الصالح، قطب الوقت، المشهور بالكرامات، معتقد أرباب الولاية، الشيخ عبد الله النكاري الشافعي، الشهير بالشرقاوي، من قرية بالشرقية يقال لها "النكارية"، أخذ من الشيخ عبد القادر المغربي، وممن كان يعتقده: الشيخ الحفنى، والشيخ عيسى البراوي، والشيخ علي الصعيدي، توفى سنة ١١٢٤هـ.

ذكر حسن قاسم في "المزارات الإسلامية" أن الشيخ كشك رحمه الله توفي سنة ١١٧٠هـ، ولم يعقب من زوجته فاطمة مصطفى جماعة إلا بنتاً اسمها مريم.



المصادر والمراجع:

- حسن قاسم، المزارات الإسلامية والآثار العربية في مصر والقاهرة المعزية، مكتبة الإسكندرية، ٢٠١٧م.
- عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٧م.
- عبد الله العزباوي، الفكر المصري في القرن الثامن عشر بين الجمود والتجديد، دار الشروق، ٢٠٠٦م.
- عبد المجيد المنالي الزبادي، بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام، مخطوط.
- علي مبارك، الخطط التوفيقية، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، ١٣٠٥هـ.
- محمد التاودي بن سودة، الفهرسة الصغرى والكبرى، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية.
- محمد المنالي الزبادي الفاسي، سلوك الطريقة الوارية في الشيخ والمريد والزاوية، تحقيق عبدالحي اليملاحي، تطوان، ٢٠١٢م.
- محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: عبدالله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة - الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
- محمد مرتضى الزبيدي، المعجم المختص، اعتنى به: نظام محمد صالح يعقوبي ومحمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٦م.



٩
الإلهام عند الصوفية

د.مها سمير

تشير معاجم اللغوية إلى أن الإلهام والوحي لغة يتفقان في أن كلًا منهما إعلام في خفاء، وأنهما وردا بهذا المعنى اللغوي في القرآن في قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨] وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، وأَلْهَمَه اللَّهُ خَيْرًا: لَقَّنَه إيّاه. واسْتَلْهَمَه إيّاه: سأَله أن يُلْهِمَه إيّاه.

أما من حيث الاصطلاح فقد فرقوا بينهما بأن الوحي مخصوص بالأنبياء ويأتي به الملك؛ ولذلك اعتبروا الوحي من قبيل الكشف الشهودي المتضمن للكشف المَعْنَوِيّ لأنه إنَّما يحصل بِشُهُود الملك وسماع كلامه، في حين اعتبروا الإلهام من قبيل الكشف المعنوي لأن المُلْهَم لا يُشاهد، والوحي من خَواص النُّبُوَّة والإلهام أعم والوحي مَشْرُوط بالتبليغ دون الإلهام. ويُقال: (فلان مُلْهم) إذا كان يَعرف بمزيد فطنته وذكائه ما لا يُشَاهِدهُ، ولا يُراد به إلهام الخواص إلا إن ورد على الروح لا النَّفس مع قدسية الوارد.(١)

ولذلك يعرف السيد الشريف الجرجاني/ (ت٨١٦هـ) الإلهام بأنه: "ما يلقى في الروع بطريق الفيض. وقيل: الإلهام: ما وقع في القلب من علم، وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجة، وهو ليس بحجة عند العلماء، إلا عند الصوفيين". (٢)

فما مدى اعتبار الإلهام عند السادة الصوفية؟

يقول أبو يزيد البسطامي / (ت٢٦١هـ): "لو نظرتم إلى رجل أُعطى من الكرامات حتى يرقى في الهواء، فلا تغتروا به، حتى تنظروا كيف تجدونه عند: الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة".(٣) وهو ما أكد عليه الجنيد سيد الطائفة / (ت٢٩٨هـ) بقوله: "إذا رأيتم شخصًا متربعًا في الهواء، فلا تلتفتوا إليه إلا إذا رأيتموه مقيدًا بالكتاب والسنة."(٤) وبقوله: "الطرق كلها مسدودة على الخلق؛ إلا على المقتفين آثار رسول الله".(٥) وفي ذلك يقول الهجويري / (ت٤٦٥هـ): "اعلم أن جملة مشايخ هذه الطريقة مجمعون على أن: الأولياء في جميع الأوقات والأحوال متابعون للأنبياء، ومصدقون بدعواتهم ... ولا يختلف في هذا أي أحد من: علماء أهل السنة ومحققي هذه الطريقة"(٦)

١- ابن منظور، لسان العرب: مادة/ ل ه م، ومادة/ و ح ي، أبو البقاء الكفوي، الكليات: ص١٧٣.

٢- السيد الشريف الجرجاني، التعريفات: ص٣٤.

٣- الإمام القشيري، الرسالة: ص ٦٤.

٤- الإمام الشعراني، اليواقيت والجواهر: ٢/٩٣.

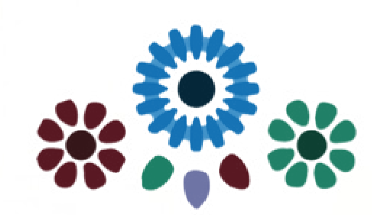
٥- الإمام الشعراني، اليواقيت والجواهر: ٢/٩٣.

٦- الهجويري، كشف المحجوب: ص ٤٧٤.

ويفصل الإمام الشعراني / (ت٩٧٣هـ) هذا المعنى فيقول: "ليس لتابعٍ علم من غير دائرة علم مَتْبُوعه أبدًا، كما أن كشف الأولياء لاً يتعدى: كتاب نبيهم وسنته أبدًا. وبتقدير أنه يأتينا بعلم من طريق كشـفه؛ لا يجوز لنا العمل به إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة وُموافقته لهما".(٧) فالولاية: "وإن جلت مرتبتها وعظمت، فهي آخذة عن النبوة: شهودًا ووجودًا؛ فلا تلحق نهاية الولاية بداية النبوة أبدًا. ولو أن وليًا تقدم إلى العين التي يأخذ منها الأنبياء لاحترق. وغاية أمر الأولياء أنهم يتعبدون بشريعة محمد : قبل الفتح عليهم وبعده، ومتى ما خرجوا عن شريعة محمد ﷺ هلكوا، وانقطع عنهم الإمداد؛ فلا يمكنهم أن يستقلوا بالأخذ عن الله أبدًا".(٨)

وغاية الولي: "الإلهام الموافق لشريعة محمد ﷺ بعد الفتح؛ فلا يعمل به مستقلًا؛ لأن نبوة التشريع قد انقطعت بموت رسول الله ﷺ فيصير ملك الإلهام: يُفهِم ذلك الولي شريعةَ محمد ﷺ، ويطلعه على أسرارها حتى كأنه أخذها عن رسول الله ﷺ بلا واسطة. فإذا صح للولي قدم الأخذ عن رسول الله ﷺ من غير واسطة؛ فهناك يصح أن يُرشد الأمة المحمدية، ويتصدر لدعائهم إلى الله بحكم النيابة عن رسول الله ﷺ قال تعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾".(٩)

ولذا كان أساس الطريق إحكام علوم الكتاب والسنة حتى أن الإمام الشعراني يقول معلقًا على مقولة حجة الإسلام الغزالي (ت٥٠٥هـ) -بعد أن ذاق طريق القوم-: ضيعنا عمرنا في البطالة؛ لما في الاشتغال بالعلم على طريق أهل الجدل من غلبة القول على العمل: "والحق أن الاشتغال بالفقه ليس هو ببطالة، إنما هو أساس للطريق؛ فإن من شأن أهل الطريق أن يكون جميع حركاتهم وسكناتهم محررة على الكتاب والسنة. ولا يُعرف ذلك إلا بالتبحر في علم: الحديث، والفقه، والتفسير. فقول الغزالي: إن الاشتغال بالفقه بطالة، إنما هو كلام صدر حال عشقه في طريق القوم، والعاشق حكمه حكم السكران. ولو أنه تأمل في حاله لعرف ما قلناه من أن: الفقه أساس الطريق، وأن غاية الصوفي أنه عالم عمل بعلمه لا غير." (١٠)



٧- الإمام الشعراني، اليواقيت والجواهر: ٢/٩٦، ٢/٩٥.
٨- السابق: ٢/٧١.
٩- الشعراني، اليواقيت والجواهر: ٢/٧١، ٢/٧٢. والآية رقم ١٠٨ من سورة يوسف.
١٠- الإمام الشعراني، اليواقيت والجواهر: ٢/٩٢، ٢/٩٣.
١١- القشيري، الرسالة: ص٤٣٦.
١٢- الهجويري، كشف المحجوب: ص٤٥٣.
١٣- القشيري، الرسالة: ص ١٧٠؛ والسهروردي، عوارف المعارف: ص ٤١٩.

١٠ التربية: "صناعة الاحترام"

منى خليل المنقوش



"احترام القدرات وعدم المقارنة"

نصنع الاحترام بمعرفة من هم أولادنا ، بمعرفة طبائع الأولاد؛ طبائعهم النَّفسيَّةِ والعقليَّةِ والجسديَّةِ، فنعرِفُ اختلافَاتِهم النفسيَّة ؛ من حيثُ الخجلُ والحياء والجُرأةُ والشجاعة، من حيث اندماجُه في المجتمع وانقباضُه عنه ، سُرعة غضبِه وحلمِه وابتسامته، وعبوسته ولطفه وحدته وتعبيره، أو كونه كتومًا لا يعبر عما بداخله.

ونتعرف على اختلافات قُدراتهم العقليّة؛ مِن حيثُ سُرعةُ وبطأ الاستيعاب، ومن حيث التفرقة بين العقول الادبية والعقول العلمية، والفرق بين العقل المنطقي الفلسفي وآخر عملي مادي، وثالث حساس شاعري خيالي ، ونتعرف أيضا على اختلاف قدراتهم الجسدية، فالبنت تختلف عن الولد، كما أن البنات درجات والذكور أيضا درجات في التكوين والقوة الجسدية التي تساعد على أداء المهام.

وهذا التعرف يُخرّج لنا قاعدة مهمة، وهي : (عدم المقارنة) .

وهنا أمر يجب أن أنبه إليه أن كثيرًا من الأهالي يَعرفون قدرات أولادهم ، لكنَّهم يَأمَلونَ مِنهم أكثر من واقعهم وقدراتهم التي منحها الله لهم ، فتجدهم يستدعون صورا أخرى لأقاربهم وأصدقائهم، فيقولون لأولادهم: لم لا تكون مثل فلان؟ ولم لا تفعلين مثل فلانة؟

وأضرب مثالا ، إذا كان الولد أو البنت قدراتهم أن ينجحوا بدرجة ٧٠% ، وكان أولاد عمهم ينجحون بنسبة ٩٥% ؛ إذا أولادي ليس لديهم القدرة والمهارة لفعل ذلك، وبالتالي فإن هذه المقارنة سَتُفقدهم طاقتهم وهمتهم وإرادتهم لإنجاز مهمتهم التي هي النجاح بنسبة ٧٠% ، وبالتالي يشعُرون باليأس، وقد يترتب عليه الأسوأ وهو الرسوب في العام الدراسي؛ لأنه لا يشعر بالتقدير والاحترام لإنجازه ومجهوده، وكذلك لا يرى أن والديه يتفهمان قدراته ، كما أن هذه المقارنة تَخلق عداوةً بين المُقَارن والمُقَارن به ، فينموا شعور الغيرة غير الحميدة والحقد والحسد لمن قارنوه به ؛ وهذا لأن الولد يرى لو أن المقارن به غير موجود لكان حاله عند والديه أفضل فيتمنى اختفاء من قارنوه بهم ، وكل هذا يُفقده الثقة بنفسه ، بل أبعد من ذلك إذ يفقده الثقة بوالدية، فيبدأ في الابتعاد عن والديه وعن التواصل معهم واستشارتهم ، وهذا كله نتيجة ما تعرض له الطفل من إجهاد نفسي جرَّاء هذه المقارنة.

فإذا وجدنا أولادنا قد تلاشت مواهبهم وانعدمت طموحاتهم ؛ فلنعلم أن سبب ذلك المقارنةُ بينه وبين غيره ؛ لأن المواهب لا تنموا تحت الضغوط النفسية والقهر ؛ فالمواهب تحتاج إلى جوٍ صحيٍ مثل النقاش والتحفيز والتواصل الآمن الخالي من تهميشٍ ما أنجزه الأولاد .

وهناك جانب آخر من المقارنات المهارية سواء الذهنية العقلية أو الجسدية ، فنجد ابنًا يُجيد مهارة الرياضة وينجح فيها ، وآخر لا يجد الرياضة، لكنه يجيد القراءة وسرعة التعلم، وثالث يجيد المساعدة في البيت أو شراء الطلبات للبيت، أو ينتبه للاحتياجات اليومية والأسبوعية والشهرية، مع أنَّ غيرَه لا يجد ذلك ، فالله قد خَلق الناس مختلفين؛ ليتكاملوا لا لنقارن بعضهم ببعض فيحطم بعضهم بعضا ﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود:١١٨-١١٩]، فالمُقارنة بين الأبناء تدّل على عدم معرفة الأباء بمراد وحكمة الله من خَلق هذا الإبداع المتنوع المتكامل ، والواقع بدون التنوع لا يكتمل، فنجد هذا التاجر البائع لما يصنعه المصنع الذي يمتلأ بالعمال ، والعمال يحتاجون إلى مدير المصنع؛ ليدير لهم برنامج الإنتاج، وصاحب المصنع يحتاج للمواد الأولية التي يستوردها، أو يأخذها من المناجم التي تُخرج المواد والمعادن وكل هؤلاء يحتاجون إلى سائق النقل،. وكل مؤسسة يحتاج موظفوها لبعضهم ولا يستغني أحد عن أحد وبدون البعض لن يتم عمل أو إنتاج ،

فمن نظر إلى عامل المخزن وقارنه بمدير المصنع لن يعرف أن المقارنة خطأ إلّا إذا سُرق المخزن.

ولنا في أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ صورة توضح كل هذا، فتجدهم عليهم الرضوان متنوعي المهارات والمهام، فهذا سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه أفرض الصحابة وأعلمهم بعلم المواريث، وكذلك تعلَّمَ لغَاتُ أهل عصرِه في مُدَّةٍ قصيرةٍ ، فلا نُقَارنه بسيدنا أبي بكر رضي الله عنه ، ونقول لسيدنا أبي بكر لماذا لم تتعلم اللغات كسيدنا زيد؟

وكذلك لا نقول لسيدنا أبي بكر رضي الله عنه: لماذا لم تُؤذّن وتُحسن صوتَك بالآذان كسيدنا بلال بن رباح رضي الله عنه؟ فكل قد خلقه الله لما أراده ، ووضع فيهم من المهارات ما يساعدهم على ما أراده .

ولنا في نبينا ﷺ ، أسوة حسنة ، فإنه مع أنه أفضل العالمين ، فما كان يقارن نفسه بأحد من أنبياء الله عليهم السلام، بل كان ينهى عن ذلك ، كما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة في قصة الصحابي مع اليهودي الذي قال بأن سيدنا موسى أفضل العالمين ، فاختصموا إلى سيدنا الرسول ﷺ ، فغضب النبي وقال : (لا تُفَضِّلُوا بيْنَ أَنْبيَاءِ اللهِ)،

وحكى منقبة لسيدنا موسى عليه السلام ، ثم قال : (وَلَا أَقُولُ : إنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِن يُونُسَ بنِ مَتَّى عليه السَّلَامُ) وأيضا ما أخرجه الإمام البخاري ومسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ : "مَثَلِي ومَثَلُ الأنْبياءِ مِن قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيانًا فأحْسَنَهُ وأَجْمَلَهُ، إلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِن زاوِيَةٍ مِن زَواياهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ به ويَعْجَبُونَ له ويقولونَ: هَلّا وُضِعَتْ هذِه اللَّبِنَةُ قالَ فأنا اللَّبِنَةُ، وأنا خاتَمُ النبيّين ".

فجعل نفسه ﷺ كلبنة في بناء لا تتميز عن بقية البناء؛ لأنه كان في مقارنة مع إخوته الأنبياء ،

ومع كل هذا لم يمنع سيدنا النبي ﷺ أن يُظهر حقيقة أظهرها الله، وهي أنه ﷺ أفضل العالمين ، إذ قال : فيما أخرجه الإمام ابن ماجه بإسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري : (أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر) .

وهذا هو قانون المدح والمقارنة ، نذكر مناقب كل أحد منفردا، وكأنه ليس مثله أحد، ويمتنع أن نقارن بين أحد وأحد ، فالنبي ﷺ رفض المقارنة بينه وبين أحد من الأنبياء عليهم السلام، وعندما جاء ذكره هو مستقلا عن غيره ذكر أفضليته على سائر الخلق بدون تعيين، والحمد لله رب العالمين.

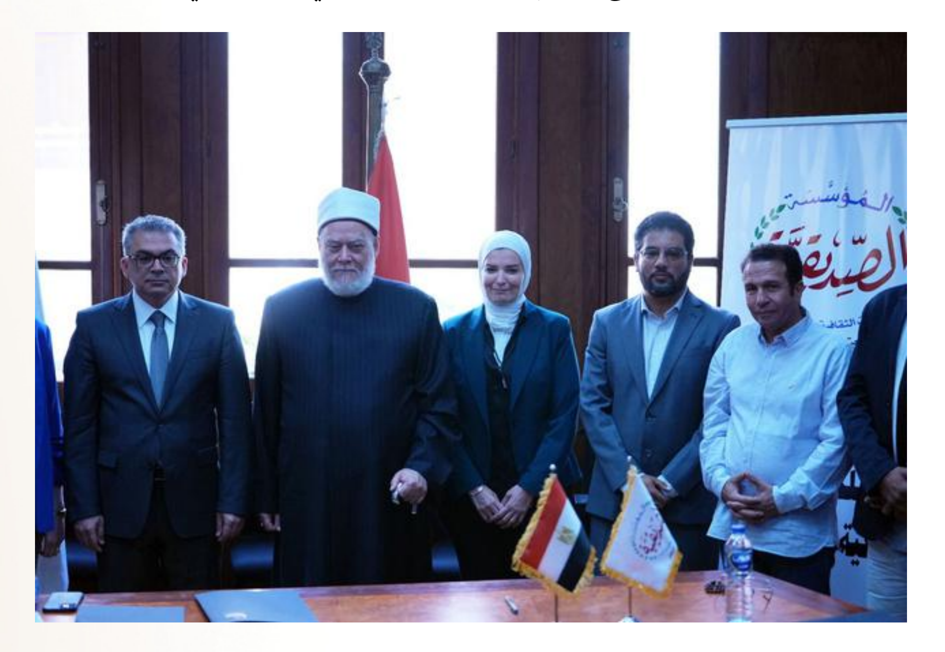






انطلاقًا من رؤيّة المؤسسة الصديقيّة للخدمات الثقافية والمجتمعية برئاسة فضيلة الإمام أ.د. علي جمعة في نشر مفهوم الخدمة المجتمعيّة، شهدت الفترة الأخيرة العديد من المساهمات والأنشطة والبروتوكلات تزامنًا مع مواسم الخيرات نستعرضها في التقرير الآتي:

توقيع بروتوكل تعاون مع كلية الطب جامعة عين شمس



بحضور الأستاذ الدكتور علي جمعة والدكتور علي الأنور عميد كلية الطب جامعة عين شمس في الثامن والعشرين من مايو الماضي، تم توقيع بروتوكول تعاون بين المؤسسة والكليّة لتجهيز قوافل طبية للمناطق المحتاجة، وافتتاح عيادة خيريّة تابعة للمؤسسة، وأيضًا استقبال الحالات المحالة من قبل المؤسسة لتقديم الرعاية اللازمة.

تدريب ٢٠ طالبًا من كلية الخدمة الاجتماعية



استضافت مؤسسة الصديقية ٢٠ طالبًا من كلية الخدمة الاجتماعية - جامعة حلوان لتنفيذ اليوم العملي والتدريب على الخدمة المجتمعية في صورة ورش عمليّة مع مسئولي القطاعات الخدمية المختلفة بالمؤسسة

توقيع بروتوكول مع وزارة الشباب والرياضة

بحضور الأستاذ الدكتور علي جمعة والدكتور أشرف صبحي وزير الشباب والرياضة تم توقيع بروتوكل تعاون لافتتاح مركز الشباب بمنطقة الأولى بالرعاية وانطلاق فاعليّات المؤسسة من خلاله، كما جاء التذكير والتأكيد على أهمية إعادة الاهتمام بالأنشطة الكشفية.



افتتاح الموسم الكشفي الصيفي

ما زال التأكيد على أهمية النشاط الكشفي للأجيال الناشئة وعلى دوره في التهيئة العقلية والجسدية من قبل المؤسسة، وانطلاقًا من هذا تم اعلان الاستقبال لدفعة كشفية جديدة تتلقى التدريب والمهارات و المهارات والأنشطة الكشفية بقيادة المهندس عبدالله أبوذكري بعدما شهدت الدفعات السابقة استفادة ملحوظة، هذا وإن الاستقبال ما زال قائمًا للأعمار حتى ١٤ عامًا وذلك بمقر المؤسسة بالحي المتميز بمدينة السادس من أكتوبر.



المشاركة في سيمينار جمعية الكشافة البحرية السنوي

شاركت مجموعات تقدر الكشفية في السيمينار السنوي التخطيطي للعام ٢٠٢٣-٢٠٢٤ لجمعية الكشافة البحرية بالقاهرة (حارس) والذي عقد بمركز الفريق أنور عبد اللطيف البحري (الاسكندرية)



التجهيز لافتتاح بنك كساء

في فكرة هي الأولى من نوعها، تصدر الصديقية أول بنك كساء وذلك بعد الإعداد والتجهيز والتغليف والتعبئة بواسطة مجموعة من متطوعي المؤسسة وسيتم اعلان افتتاحه قريبًا.



إطعام الطعام

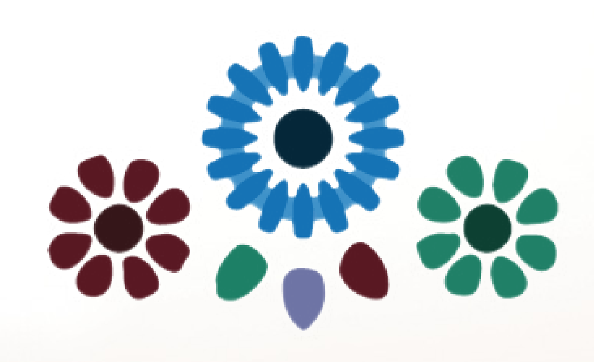
لا يزال التركيز على نشاط الإطعام واعتباره أمرًا ضروريًا ومحوريًا والدعوة لجعله عادة من أهم ركائز المؤسسة، وعلى هذا خرجت مئات الوجبات من ساحة المؤسسة المجاورة لمسجد الأقمر بشارع المعز لإطعام المجاورين لمسجد سيدنا الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة رضي الله عنهم والعديد من المرضى ببعض المستشفيات، كما تم توزيع ما يقرب من ٦٠٠٠ وجبة بالاسكندرية وبالقاهرة بمناطق الامام والتونسي و الفسطاط.

القوافل الطبية والمساعدات المادية



تم التوجه بقوافل طبية وغذائية إلي محافظات المنيا وبني سويف استهدفت تقديم الخدمات الطبية الي ٦٠٠ أسرة وتقديم المساعدات الغذائية لنحو ١٠٠٠ أسرة،كما تم تقديم المساعدات المالية لنحو ٤٥٠ أسرة خلال الثلاث شهور الماضية وتقديم مساعدات عينية لنحو ١٥٠٠ حالة.

كان هذا موجزًا لأبرز الأنشطة في الفترة السابقة للمؤسسة، هذا وإن المؤسسة ترحّب بجميع أنواع التطوع والمساهمة، مشاركة في الخدمة وعمارة الأرض، والحمد لله الذي وفّق وأعان.



سبل التبرع
لمؤسسة الصديقية

للتبرعات من داخل مصر فقط

البنك الأهلي المصري

فرع الحصري - مدينة ٦ اكتوبر

رقم الحساب

1823071145516601014

IBAN

EG290003018230711455166010140

أو

رقم فودافون كاش 01015615286

مع ضرورة إرسال الإشعار إلى رقم:

0115 022 2305



س١:كيف يتخلص الإنسان من الاعتقاد في الأخذ بالأسباب مع أنه يعرف أنها ليست التي تحدث النتائج؟

الإجابة: يتذكر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمرنا أن نتخذ الأسباب، ولكن ألا نعتمد عليها، حتى وضع العلماء تلك القاعدة الجليلة: ترك الأسباب جهل والاعتماد عليها شرك.

س٢: كيف يعرف المريد أن به كِبر؟

الإجابة: لا يفتش في هذه الأشياء، ويحاول أن يتواضع لله - سبحانه وتعالى - وكان مشايخنا يضبطونها بجبر الخواطر، أي لا تحاول أن تكسر بخاطر أحد، خاصة الضعفاء، كلما حاولت أن تكسر الخاطر قاوم نفسك، ولا تجعلها تفعل هذا الأمر، وبذلك تخرج من هذه الأمور.

س٣: بين مقام الرضا والمحبة في بداية طريق المريد، أيهما أولى بالاتباع، فالمحبة تقتضي طلب الوصال من الله أو الرسول أو الأولياء، والرضا يتطلب التسليم بالحال، أيهما أقرب لرضا المحبوب؟

الإجابة: فى الحقيقة أن المحبة لا تقتضي طلب الوصال، بل إن المحبة هي نفسها الوصال، أي إذا كان فى قلبك حب حقيقي لله ولرسوله فقد اتصلت به، فالمحبة هي الوصال ((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)) [آل عمران: ٣١]. اذاً: إذا كنت حقا حبه لأطعته، إن المحب لمن يحب مطيع.

س٤: فى كتاب سيدي النبهاني (سعادة الدارين)، فصل رؤية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على غير هيئته، وإن رؤية سيد الكونين مثلا يعكس حال ومقام الرائي وربما رجع ذلك إلى نقص في دين الرائي؟

الإجابة: نسأل الله - سبحانه وتعالى - الكمال دائما، ولكن النبي لو رُئِيَ في غير هيئته، فإن ذلك له تأويل، فليعرضه على أصحاب التأويل ويذكرون له ما المعنى الذي هو فيه. أما كونه يدل على نقصان فى الدين؟ فقد يكون ذلك، أو هل يدل على معصية؟ قد يكون ذلك، أو هل فيه إشارة لفعل معين وليس فيه نقصان؟ قد يكون ذلك حسب الرؤية وحسب سياقاتها.

س٥: هل حب ولي بعينه واختصاص حبه يعني حب الولي للمريد؟

الإجابة: الحب عندما يحدث فى القلب فإن الله - سبحانه وتعالى - يُنشئ له ثواباً، وهذا الثواب يكون حب الطرف الآخر له.

س٦: فى قصيدة سيدي أبي مدين (ما لذة العيش) قال حضرته: "الرضا يختص من حضر".

الإجابة: إذا كان هناك أمر بالحضور، ولذلك التعميم هنا ليس على وجهه، يعنى الشيخ قال احضروا فلم يحضر أحد، فحينئذ يقول هذا الكلام، والذي ترجمه كثير من الناس من العوام ولكنهم عرفوا الحكمة، يقولون: الغايب مالوش نايب. لكن قضية البعد والمسافات والاختلافات وكذا إلى آخره ليست من هذا القبيل اطلاقاً.

س٧:هل مقام القطبية يستمر مع القطب في البرزخ؟

الإجابة: إن الكريم إذا وهب ما سلب، مقامه يستمر معه، ولكنه فى الملكوت له مقامه كما كان له مقامه فى المُلك، إنما منصب المُلك ذهب؛ لأنه انتقل، ولذلك يُعين مكانه قطب آخر.

س٨: هل يمكن قراءة حزب الإخفاء بنية الحماية والحفظ وتجنب الأذى من شخص معين، أم يُقرأ على أعداء الحرب فقط؟

الإجابة: يُقرأ على هذه النيات كلها، وكل طلب للحفظ.

س٩: هل الطريق إلى الله ممكن أن يشفي من الاضطرابات النفسية؟: هل الطريق إلى الله ممكن أن يشفي من الاضطرابات النفسية؟

الإجابة:طبعا ممكن أن يشفى منها، ونسأل الله الشفاء لكل مريض

س١٠: هل مقدم الطريقة يعتبر مربي المريدين المنتسبين له، أم أنه فقط مجرد نائب؟: هل مقدم الطريقة يعتبر مربي المريدين المنتسبين له، أم أنه فقط مجرد نائب؟

الإجابة:حسب مرتبة هذا المقدم، ولكن في النهاية شيخ الطريقة هو الذي منه الإرشاد ومنه التوجيه.

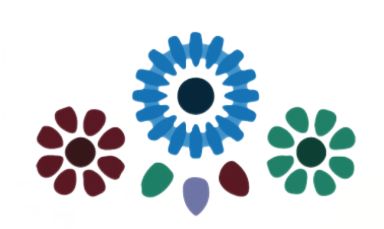
س١١: أشعر أن الأخلاق السيئة لدي صعبة التغيير، هل الطبائع السيئة تتغير؟

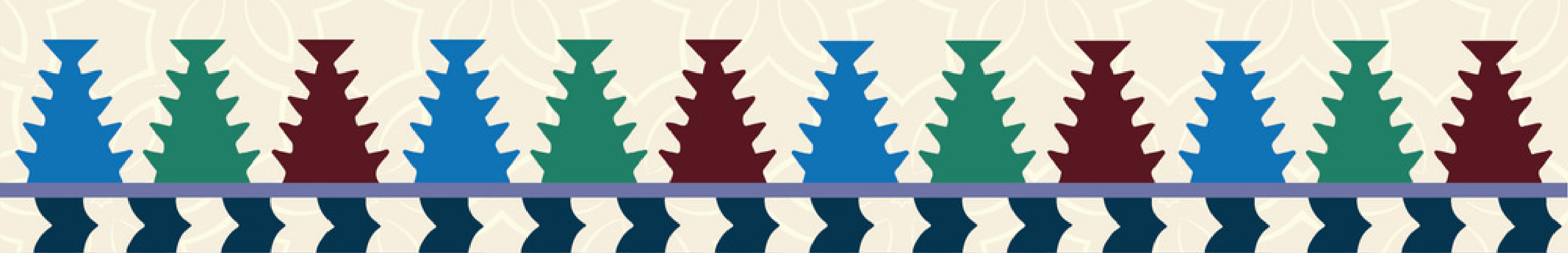
الإجابة:طبعا، ((إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ)) [الرعد: ١١]، وهذا معناه أن هناك تغيير حتى فى السيء.

س١٢: سمعت أنه لا يجوز أن نقول لأحد (ربنا بيحبك)، فهل هذا صحيح؟

الإجابة: وهل قولهم (ربنا بيكرهك) هي الصحيحة؟! ربنا بيحبك، وإلا لم يخلقك، ولم يرشدك الى هذا الخير، سواء كان الإسلام أو الطاعة في الإسلام أو استجابة الدعاء. من قال لك إن الله لا يحب صنعته؟! الله يحبك قطعا.

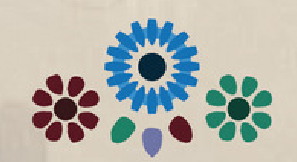
وفي النهاية ندعوا الله - سبحانه وتعالى - أن يغفر لنا ذنوبنا، وأن يكفر عنا سيئاتنا، وأن يجمعنا في الدنيا والآخرة على الخير، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يشرح صدورنا للإسلام، وأن ينور أبصارنا وبصائرنا إلى حقائقه، وأن ينقلنا من دائه سخطه الى دائرة رضاه، وأن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا وجلاء همنا، وأن يحشرنا تحت لواء سيدنا النبي ، وأن يدخلنا الجنة ببركته من غير حساب ولا سابقة عقاب ولا عتاب، وأن نشرب من يده الشريفة شربه ماء لا نظمأ بعدها أبدا. فاللهم يا ربنا متعنا بالنظر الى وجهك الكريم، وآتنا فى الدنيا حسنة، وفى الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، وأدخلنا الجنة مع الأبرار. أصلح حالنا، واغفر ذنبنا، واستر عيبنا، وهيء لنا من أمرنا رشدا، وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.





يا من تعاظم حتى رقّ معناه
ولا تردّى رداء الكِبْرِ إلا هُو
تاهو بحبك أقوام وأنت لهم
نعم الحبيب وإن هاموا وإن تاهوا
ولي حبيب عزيز لا أبوح به
أخشى فضيحة وجهي يوم ألقاه
قالوا أتنسى الذي تهوى فقلت لهم
يا قوم من هو روحي كيف أنساه
ما غاب عنّي ولكن لست أبصره
إلا وقلت جهارًا قل هو الله

الإمام الرفاعي



صور الكود للدخول
لموقع الصديقيّة





